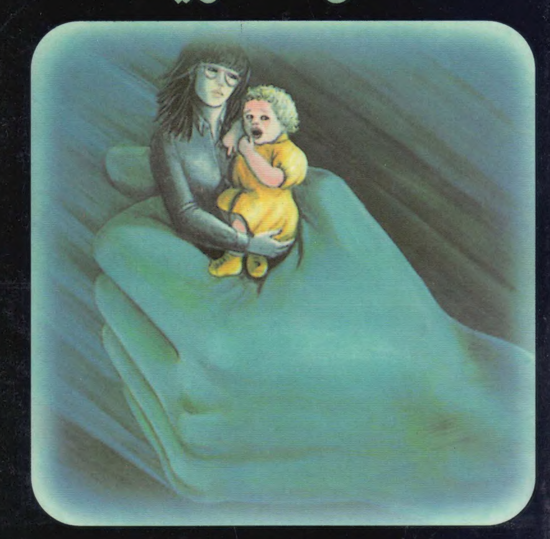
أرسين لوبين

اللص الظريف



مغامرات "أرسين لوبين"

● ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١٫٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

اللص الظريف

(٦٠)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون : 939 262 9 961 00

فاكس : 401 260 9 961 00

الفصل الأول

غمرت الشمس البهو الكبير في قصر الدوق "دي شارميراس" ودبت الحياة في ذلك البناء المعتم الذي خلفته الأجيال المتعاقبة تراثا يتحدث عن تاريخ حافل بالمجد والنبل والكفاح من أجل اسم مجيد عظيم .

وهناك على الجدران كانت صفوف طويلة من صور أولئك الذين طوتهم القبور من آل "دي شارميراس" وقد انسكبت عليها الأشعة المتلألئة فاضاءت منها وجوها صارمة رزينة لرجال الحرب والسياسة أو وجوها ناعمة وديعة للغيد الحسان اللائي لمسن من القلوب أعماقها.

وحتى السجاجيد العجمية النفيسة . والأواني الأثرية . والتحف النادرة كل هذا بدا في فيض من ضياء الشمس وقد نبض بالحياة وتدفقت فيه عاصفة من المشاعر .

على أنه بين كل ما كان جميلا ومتالقا في هذا البهو لم يكن هناك ما هو أجمل من وجه تلك الفتاة الجالسة إلى مكتب صغير قبالة النافذة المشرفة على الحديقة .

كان جمالها من ذلك النوع الوديع الذي يفيض عذوبة ورقة . إن لها بشرة رائقة صافية يخيل إليك أنها شفافة كالبلور أما وجنتاها فيضرجهما لون الورد .

وحين تتاملها تحار في مبعث فتنتها :أيفتنك منها العينان المتالقتان ام الخصلات المتهدلة على الجبين الناصع كانها ضياء ذهبي ينسكب في قدح من البلور ؟ ام الشفتان اللتان تغريان بالقبلات ؟

ومع هذا فقد كانت هناك سحابة من الاكتئاب تظلل وجهها وقد جمعت امامها بعض الظروف اخذت تسجل عليها بعض العناوين وكلما فرغت من واحد منها دست فيه بطاقة دعوة إلى عرس مطبوعة عليها هذه الكلمات :

"يتشرف مسيو "جورناي مارتان" بان يخطركم بزواج ابنته "جرمين" بالدوق "دي شارميراس" .

واستمرت الفتاة تعنون الظروف .. واحدا بعد واحد وتضيفه إلى

الكومة المكدسة امامها . وعندما تتعالى من الحديقة ضحكات الفتيات اللاهيات يشرد ذهنها من حين إلى آخر فترسل بصرها من خلال النافذة وتستقر نظرتها عليهن وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة ثم لا تلبث أن تعاود عملها وقد انفرجت شفتاها عن تنهيدة مكتومة .

* * *

وفجاة ارتفع من الحديقة صوت ينادي : "سونيا" . "سونيا" !

ورفعت الفتاة رأسها وأجابت :

- نعم يا آنسة "جرمين" .

- الشاي ، هل لك أن تامري بإعداد الشاي ؟ !

وكان الصوت رنانا تشيع فيه نبرة تدل على الاعتداد والصلف .

وقالت "سونيا" مجيبة :

- سآمر بإعداده يا آنسة "جرمين" ثم زايلت مقعدها ودقت الجرس ، وحين دخل الخادم قالت له .

- هل لك ان تأتي بالشاي يا "الفريد" من فضلك ؟

- لكم شخص يا آنسة ؟

- لأربعة . إلا إذا كان سيدك قد رجع .

- إنه لم يرجع بعد يا آنسة لقد ذهب إلى "رين" ليتناول الغداء ولن يعود إلا بعد ساعة على الأقل .

- والدوق ؟ اظنه لم يعد بعد من جولته ؟

- نعم .. إنه لم يعد .

وتحول "الفريد" يريد الانصراف فابتدرته "سونيا" بقولها :

- لحظة واحدة . هل اعددت الحقائب للسفر إلى "باريس" ؟ وهل استعدت الخادمات جميعهن ؟

- لقد استعد الرجال أما النساء فلا اعرف من أمرهن شيئا .

- إذن ينبغي أن تحثهن على الإسراع وأرجو أن تعجل بإعداد الشاي.

انصرف "الفريد" و عادت "سونيا" إلى منضدة الكتابة .

وتناولت إحدى بطاقات الدعوة واستقرت عيناها عليها وغمرتها موجة من الشرود واصابعها تعبث بالقلم .

وانتزعها من استغراقها ذلك الصوت المتعجرف :

– ليت شعري ما الذي تصنعين يا "سونيا" ؟ الست ماضية في كتابة هذه الرسائل ؟

كان الصوت غاضبا وفي نبراته حنق ظاهر .. ومن باب الشرفة المفضية إلى الحديقة اقبلت الآنسة "جرمين جورناي مارتان" .

وكانت وريثة ملايين "جورناي مارتان" تحمل في يدها مضربا للتنس. وبدت عيناها متالقتين ، ووجنتاها متضرجتين احمرارا . وكان جمالها خشنا متجردا من عناصر الرقة والطلاوة على نقيض جمال "سونيا" الوديعة التي تبدو كالطيف .

واقبلت في أثرها صديقتاها "جان جوتييه" و"ماري بولييه" واقتربت من منضدة الكتابة و أومات "ماري" إلى أكداس الظروف وهتفت :

– أكل هذا بطاقات الدعوة إلى العرس ؟!

فقالت "جرمين" في زهو وخيلاء :

– نعم . وتصوري اننا لم نبلغ منها إلا الحرف السادس من حروف الهجاء !

فجرت "ماري" باصابعها على بعض الظروف وراحت تقرأ عناوينها :

– الأميرة "دي فرنان" .. الدوقة "دي فوفيبز" . المركيزة "مار شيونيس" . إنك قد دعوت جميع سكان ضاحية "سان جرمان" !!

فقالت "جان" في شيء من التهكم :

– ولكنك لا تعرفين من هؤلاء المدعوين إلا عددا قليلا ؟

فقالت "جرمين في انفة وكبرياء :

– عفوا يا صديقتي .. منذ أيام اقامت مدام "دي ريلزيير" ابنة عم خطيبي حفلة ساهرة تكريما لي فقدمتني في خلالها إلى نصف أهل "باريس" أعني أولئك الذين ينبغي الا اتعرف إلى سواهم ، أولئك الذين يباح لهم أن يترددوا على داري ! النبلاء والأشراف من ذوي الألقاب العظيمة .

فقالت "جان" :

– واأسفاه ! إننا لا نليق بان نكون في عداد صديقاتك إذا ما أصبحت الدوقة "دي شارميراس" .

– ولم لا ؟

ولكنها لم تنتظر جوابا بل أردفت على عجل مغيرة مجرى الحديث :
- إياك يا "سونيا" أن تنسي "فوليجليز" .. بشارع الجامعة رقم٣٣ .
فقالت "سونيا" مرددة وقد تناولت ظرفا وبدأت تعنونه :
"فوليجليز" رقم ٣٣ شارع الجامعة .
فهتفت "جرمين" مقاطعة وقد بدت عليها أمارات التفكير :
- انتظري ! لا تلصقي الظرف . ليت شعري أتستحق "فوليجليز" صليبا واحدا أم صليبين أم ثلاثة صلبان ؟!
فصاحت "ماري وجان" في نفس واحد :
- مامعنى هذا ؟
- صليب واحد معناه دعوة إلى الكنيسة وصليبان دعوة إلى الكنيسة ومأدبة العرس وثلاثة صلبان دعوة إلى الكنيسة والمادبة وحفل توقيع العقد فما رأيكما ؟
فقالت "جان" :
- لا تسأليني رأيي ، فما سبق لي شرف التعرف إلى هذه السيدة العظيمة .
فقالت "ماري" :
- ولا أنا .
فهتفت "جرمين" :
- وأنا أيضا لا أعرفها ، ولكن اسمها مدرج في قائمة صديقات المرحومة الدوقة "دي شارميراس" والدة "جاك" ولقد كانت الدوقتان على صلات وثيقة من المودة ، وقد اعتزلت الدوقة "دي فوليجليز" المجتمعات ولكن الناس لايزالون يحترمونها لتقواها وورعها .
فقالت "جان" :
- إذن ذيلي بطاقتها بثلاثة صلبان .
ولكن "ماري" انبرت تقول :
- لو أني كنت مكانك لما تصرفت في الأمر من تلقاء نفسي ولرجعت فيه إلى رأي خطيبي .
- خطيبي ! رباه إنه لا يحفل بشيء من هذا كله لقد غيرته هذه السنون السبع الأخيرة . ! منذ سبعة أعوام لم يكن ينظر إلى الحياة إلا

نظرة العبث واللهو .. تصوري أنه لم يقم برحلته إلى القطب الجنوبي إلا استجلابا للشهرة ورغبة منه في أن يجعل الصحف والناس يتحدثون عنه لقد كان في تلك الأيام دوقا حقيقيا !

– واليوم ؟

– اليوم ؟ إنه اصبح يزدري المظاهر وليس في نفسه ذرة من الخيلاء ! لقد انقلب رزينا جادا كالقضاة .

قالت "سونيا" معترضة :

– والله إني لأراه مرحا طروبا ..

فنظرت إليها "جرمين شزرا وقالت :

– إنه لايعرف المرح إلا حين يعمد إلى التهكم على الناس . أما ما عدا ذلك فهو الوقور الصموت !

فقالت "جان" :

– أغلب ظني أن هذا التطور قد راق لأبيك !

– بلا ريب . وهو ما ذهب اليوم يتغدى مع الوزير في "رين" إلا ليسأله وساما لـ "جاك" !

قالت "ماري" :

– آه .. ما أجمل أن يزين وسام "اللجيون دونير" صدر الدوق !

فقالت "جرمين في استخفاف :

– يا عزيزتي .. إن وسام "اللجيون دونير" لا يصلح إلا لأبناء الطبقة الوسطى ولكنه بالنسبة إلى دوق شيء لا قيمة له .

واقبل "ألفريد" يحمل آنية الشاي فصفها على منضدة صغيرة بالقرب من الشرفة .

وفجاة أومات "جرمين" إلى تمثال صغير قائم على "البيانو" وقالت:

– ما هذا ؟ من الذي وضع التمثال هنا ؟

فأرسلت إليه "سونيا" بصرها وقالت في استغراب :

– عجبا ؟ عندما جئنا كان فوق الدولاب في موضعه المألوف .

فقالت "جرمين مخاطبة الخادم :

– هل دخلت البهو أثناء وجودنا في الحديقة يا "ألفريد" ؟

فقال "ألفريد" مجيبا :

- لا يا سيدتي .

- ولكن لا ريب أن شخصا ما دخل هذا البهو ونقل التمثال ؟

- إني لم اسمع وقع اقدام مطلقا يا سيدتي .

- هذا عجيب جدا .

فقالت "سونيا" :

- نعم . عجيب جدا ، فالتماثيل لاتنتقل من مكانها من تلقاء نفسها .

وراحو جميعا يحملقون إلى التمثال كانما توقعوا أن يروه ينتقل وحده إلى موضع آخر تحت اسماعهم وابصارهم .

تناوله "الفريد" فرده إلى مكانه فوق أحد الدواليب ثم غادر الغرفة .

صبت "سونيا" الشاي في الأقداح وقدمتها إلى الحاضرات ثم رحن يتحدثن عن حفلة الزفاف وثوب العرس والهدايا التي تلقتها "جرمين" .

وقالت "جرمين" :

- الم يسال عني أحد تليفونيا من بيت أبي في باريس ؟

وحين أجابتها "سونيا" بالنفي استرسلت "جرمين" :

- هذا شيء يضايق إذ معناه أن أحدا لم يذكرني بهدية اليوم !

وهزت كتفيها في غيظ شأن الطفلة التي افسدها التدليل، فقالت "سونيا" ترفه عنها :

- هذا يوم الأحد والمتاجر لا تفتح فيه أبوابها .

وقالت "جان":

- وأين دوقك الجميل ؟ الا ينوي أن يتناول معنا الشاي ؟

- إني اتوقع عودته في منتصف الساعة الخامسة فقد ذهب يزور الاخوين "دي بوي" و سيدعوهما إلى تناول الشاي .

فهتفت "ماري" :

- ومتى ذهب إليهما ؟

- بعد ظهر اليوم .

- هذا محال فقد ذهب أخي بعد الغداء لزيارة "اندريه وجورج" فقيل له إنهما سافرا منذ الصباح الباكر ولن يعودا إلا في ساعة متاخرة من الليل .

فقالت "جرمين وقد قطبت جبينها :

- إذن . إذن لماذا ذكر لي الدوق هذا ؟!

- لو أنني كنت مكانك لتحريت الأمور .! فإن بعض الدوقات يا صديقتي يتفننون في الكذب وانتحال الأعذار .!

وينبغي أن ترقبيه جيدا وإلا افلت منك .

وابتسمت "جان" ابتسامة تنطوي على الخبث وتضرج وجه "جرمين" احمرارا واتقدت عيناها وقالت في جفوة ظاهرة :

- أشكرك .. إن لي بـ"جاك" كل الثقة وإني لشديدة الاطمئنان إليه .

فهزت "جان" كتفيها وقالت :

- حسنا مادمت مطمئنه إليه فلا شان لي بالأمر .

وقطع الحديث رنين جرس التليفون . وفزعت إليه "جرمين ، وأمسكت السماعة وقالت :

- هالو . أهذا أنت يا "بيير" ؟ ها . انت "فيكتوار" ؟

نعم ؟ هه جاءتني بعض الهدايا ! حسن جدا .. ما هي ؟

ماذا تقولين ؟ مدية لتقطيع الورق ! يا إلهي ! ومقطع آخر ؟ ودواة أخرى من طراز "لويس السادس عشر" رباه ما أبغض هذه الهدايا إلى قلبي .! ومن أصحاب هذه الهدايا ؟ ها . الكونت "رودلف" والبارون "دي فاليري" !

ثم تحولت إلى صديقاتها وهي لا تزال ممسكة بالسماعة وهتفت:

- وعقد من اللؤلؤ أيضا يا صديقاتي ! عقد كبير !

فهتفت "ماري" :

- إنها هدية رائعة !

وعادت "جرمين" تتكلم في التليفون قائلة :

- ومن الذي أرسل هذا العقد ؟

ثم ما لبثت أن أردفت وفي صوتها نبر ة من اليأس :

- إنه صديق لأبي ! ومع ذلك فحسبي انه عقد من اللؤلؤ ! اسمعي يا "فيكتوار" . يجب أن تغلقي الأبواب جيدا و أودعي العقد الدرج السري . شكرا جزيلا سأراك غدا يا "فيكتوار" .

وردت السماعة إلى مكانها وتحولت إلى صديقاتها مقطبة الجبين. وهي تقول :

– إن أصدقاء أبي وأقرباءه يبعثون إلي بهدايا قيمة أما الآخرون فلا يرسلون إلا مدى الأوراق ! هذه غلطة "جاك" على أية حال فهو لا يحفل بالمظاهر والعلاقات الاجتماعية إن أهل ضاحية "سان جرمان" لا يكادون يعرفون أننا خطيبان !

فابتسمت "جان" وقالت متهكمة :

– لعلك تريدين منه أن يجوب الأسواق والطرقات يحمل على ظهره لافتة كتب عليها النبأ العظيم ؟

– تهكمي ما شئت ولكن اعلمي أنه كان ينبغي أن يعقل هذا ! ولقد كان هذا هو رأي ابنة عمه مدام "دي ريلزيير" . لقد حدثتني في ذلك عندما قابلتها في الحفلة الساهرة التي أقامتها تكريما لي.

فهمست "جان" مخاطبة "ماري" في صوت منخفض :

– إنها لن تمل الحديث عن هذه الحفلة الساهرة .

وساد الصمت برهة ثم قالت "ماري" فجأة :

– وبمناسبة الحديث عن مدام "ريلزيير" .. أتعلمين أنها اليوم فريسة القلق لأن ابنها سيشترك في إحدى المبارزات:

فقالت "سونيا" متسائلة :

– ومن الذي سيبارزه ؟

– لا يدري أحد !

فقالت "جرمين" :

– إني مطمئنة إلي نتيجة المبارزة فإن "ريلزيير" مبارز من الطبقة الأولى ، وما هزمه أحد حتى اليوم .

ولكن سحابة من القلق شاعت بغتة في وجه "سونيا" .

وبدت كأنما نمت عيناها عن الخوف وقالت :

– أما كان "ريلزيير" صديقا حميما لخطيبك في يوم من الأيام ؟

– بلى . وما تعرفنا إلى "جاك" إلا عن طريق آل "ريلزيير" .

فقالت "ماري" :

– وأين كان ذلك ؟

– هنا في هذا القصر نفسه .

فقالت "ماري" في استغراب :

– عجبا . ايتم التعارف في قصره ؟

– نعم .. هذا هو ما وقع بالفعل . وكم في الحياة من غرائب ..! فبعد اشهر من وفاة والد "جاك" اراد ان يبيع هذا القصر ليهيئ المال اللازم للإنفاق على رحلته إلي القطب الجنوبي ولكن لولا أن ابي كان مصابا بالروماتيزم لما كان منتظرا ان أصبح الدوقة "دي شارميراس" .

فقالت "جان" في استغراب :

– ولكن اية علاقة بين روماتيزم ابيك وبين زواجك من الدوق "دي شارميراس" ؟

– علاقة وثيقة فقد كان ابي يخشى أن يكون هذا القصر رطبا .. فما كان من "جاك" إلا أن دعاه إلى الإقامة هنا ليبرهن له على أنه قصر صحي ، وبالفعل امضينا في هذا القصر ثلاثة أسابيع.

فقالت "ماري" :

– الحق ان هذا السلوك من الدوق ينطوي على نبل عظيم !

فانبرت "سونيا" قائلة :

– إنه ذو سلوك نبيل على الدوام ..

فهتفت "جرمين" :

– هذا صحيح وإن كنت مع ذلك آخذ عليه اعتزاله المجتمع ، وقد عول ابي على شراء القصر أما أنا فخطبت "جاك" .

فهتفت "ماري":

– أنت التي خطبته ؟ ولكنك كنت إذ ذاك في السادسة عشرة من العمر!

فضحكت "جرمين" وقالت :

– ومع ذلك فينبغي أن تدرك الفتاة حتى وإن كانت في السادسة عشرة أن الدوقية لقب عظيم !

ولما كان "جاك" مزمعا القيام برحلته ، ولما كان أبي يرى أنني أصغر من أن أتزوج فقد وعدت "جاك" بان انتظر عودته .

فهتفت "ماري" في مرح :

– إذن فقد كانت علاقة حافلة بالجو الروائي .

فقالت "جرمين" :

– هذا صحيح !

ولكنها ما لبثت أن مطت شفتيها واردفت :

– ولكن لو انني عـرفت انه سـيـمـضي كل هذه السنين الطوال في الاصقاع الجنوبية لترددت في الأمر كثيرا قبل أن اقدم عليه!

– اصبت .. فما كان من الإنصاف أو المجاملة أن يعدك بالتغيب ثلاثة أعوام ثم لا يعود إلا بعد سبعة !

فقالت "جان" وعلى شفتيها الخبث المعهود :

– نعم . لقد رجع بعد أن كاد شباب "جرمين" يولي !

فقالت "جرمين" في غضب وتهكم :

– شكرا على هذا الإطراء .

– ماذا ؟ اتنكرين انك اليوم في الثالثة والعشرين وأن هذه السن هي المرحلة الأخيرة من مراحل الشباب !

فبادرت "جرمين" تقول :

– ومع ذلك فإني لم أبلغ الثالثة والعشرين بعد ! وتصوري سوء حظي فقد مرض الدوق مرضا شديدا فاقام في "مونتفديو" تحت العلاج وما كاد يشفى حتى عاود رحلته لأنه ليس بالرجل الذي يتراجع أو يرضخ ، وقد استمر في رحلته الطويلة – عاما بعد عام- لا يبعث إلينا بكتاب أو بكلمة واحدة وقد مرت بنا ستة اشهر ونحن نعتقد انه قد مات .

فصاحت "سونيا" :

– مات ! أوه ما كان أشقاك إذن !

فتحولت إليها "جرمين" وقالت :

– بالله عليك لا تذكريني بهذه الأيام المفجعة !

فهمست "جان" متهكمة في اذن "ماري" :

– لا ريب أنها كانت تحب أن تصبح دوقة .

واسترسلت "جرمين" في حديثها قائلة :

– ولحسن الحظ فوجئنا ذات يوم بخطاب منه وبدأت رسائله بعد ذلك تتوالى علينا ومنذ ثلاثة اشهر تلقينا برقية منبئة بعودته واخيرا يرجع إلينا الدوق !

فقالت "سونيا" :

- لا ريب انك تعذبت كثيرا .. سبعة أعوام وأنت تنتظرين عودة الرجل الذي تحبين .

فابتسمت "جان" وقالت في تهكم :

- آه .. يلوح لي يا آنسة "كريتشنوف" انك فتاة خيالية . إن الأمر كله لم يكن يعدو نشوة اللقب .

- ماذا تعنين ؟

- أعني أن "جرمين" لم تكن تحب في الدوق إلا لقبه وقصره التاريخي التليد ! ينبغي أن تصبح الفتاة دوقة أليس كذلك ؟

فقالت "ماري" باسمة :

- بلى .. وبسبب هذا العناد كادت "جرمين تتزوج رجلا آخر في خلال الأعوام السبعة ! نعم لقد كادت تصبح بارونة !

فقالت "سونيا" متسائلة :

- أصحيح هذا ؟

- كيف ؟ أما سمعت بالنبا يا آنسة "كريتشنوف" ؟ لقد أصبحت شبه خطيبة لابن عمه الدوق ، أعني البارون "دي ريلزيير" .

فقالت "جرمين" :

- تهكمي ما شئت أنت و "ماري" ولكنكما لا تعلمان أن البارون هو الوريث الوحيد للقب ابن خاله الدوق "دي شارميراس" . فلو انني تزوجته لآل إليه اللقب حتما في يوم من الأيام و لأصبحت دوقة أيضا !

فقالت "جان" :

- وكل ما يعنيك من أمر هذا الزواج هو ذلك اللقب التليد ! ثم ما لبثت أن تاهبت للقيام وهي تقول :

- والآن ينبغي أن ننصرف فقد وعدنا الكونتس "دي جروجان" بزيارتها اليوم .

وشيعتهما "جرمين" حتى باب القاعة ، وإذ أغلقته تحولت إلى "سونيا" قائلة :

- ها . لشد ما أبغض هاتين الفتاتين ! إن لهما لسانا لاذعا مقيتا .

فقالت "سونيا" : إنهما تبدوان طيبتي القلب !
- هه . إنهما أيتها البلهاء تكادان تموتان حسدا ..
نعم إنهما تحسدانني على اللقب الذي سأظفر به .
وضحكت متشفية .

الفصل الثاني

رجعت "سونيا" إلى عملها تكتب عناوين الظروف وتودعها بطاقات الدعوة على حين جلست "جرمين بالقرب منها تلقي عليها من حين لآخر سؤالا سخيفا أو تذكرها بأمر لايحتاج إلى تذكير .

وأخيرا فتح الباب ودخل "الفريد" ينبئها بان رجلين يطلبان لقاءها .

- ومن يكونان ؟ أهما الأخوان "دي بوي" ؟

- إنهما لم يذكرا اسميهما يا سيدتي .

فقالت "جرمين :

- أحدهما كهل والآخر في عنفوان الشباب ؟

- نعم يا سيدتي .

- هذا هو ما ظننت . إدخلهما إذن .

- أمرك يا سيدتي .. وهل تحب سيدتي أن أبلغ "فيكتوار" شيئا عند وصولنا إلي باريس ؟

- لا ولكن متى ترحلان ؟

- بقطار الساعة السابعة .

- وهل اعددتم كل شيء ؟

- نعم كل شيء .. وقد مضت المركبة إلي المحطة بالحقائب الثقيلة ولم يبق إلا حقائب اليد الصغيرة .

- حسنا . ادخل إذن مسيو "دي بوي" وأخاه .

تناولت مقعدا وادنته من النافذة وجلست عليه في انتظار الضيفين .

واستقرت عيناها على النافذة فهتفت :

- هذا عجيب ! ما معنى هذا ؟

فقالت "سونيا" متسائله دون أن ترفع رأسها عن الرسائل المكدسة أمامها :

- اي شيء تعنين ؟

- النافذة ! انظري .. إن أحد الألواح الزجاجية منزوع من مكانه . إنه يبدو كانه قطع قطعا !

فقالت "سونيا" وهي تنظر إلى فجوة اللوح المنزوع :
- وإنه لكذلك !
- ألم تفطني إلى الأمر من قبل ؟
- كلا ولا ريب أن اللوح سقط في الحديقة .
وفتح الباب في هذه اللحظة فتحولت عن النافذة إلى استقبال الزائرين . وعلى عتبة الباب وقف رجلان يبدو الشبه بينهما قويا لا يفرق بينهما إلا السن فاحدهما كهل والآخر لا يزال في عنفوان الشباب وحسب المرء نظرة واحدة ليدرك أنهما أب وابنه .
ونظرت إليهما "جرمين" في دهشة إذ كانت تتوقع أن يكون الزائران هما الأخوين "دي بوي" ..
تقدم الكهل صوب الفتاة وانحنى لها باسما وقال :
- إنني مسيو "كاروليه" من أصحاب الأملاك في "رين" .
وحائز على وسام "الشيفالييه" وهذا هو ابني يا سيدتي ، وقد جئنا من "رين" في هذا الصباح وتغدينا في مزرعة "كيرلور" .
وهمست "سونيا" :
- هل آمر بإعداد الشاي لهما ؟
فقالت "جرمين" في حدة وإن بدا صوتها منخفضا :
- لا بالتأكيد :
ثم تحولت إلى مسيو "كاروليه" قائلة :
- وما غرضكما من هذه الزيارة ؟
- لقد جئنا تلبية للإعلان الذي قرأناه في صحيفة الإعلانات بـ"رين" وعلمنا من الخادم أن مسيو "جورناي مارتان" غائب عن داره وأن ابنته موجودة فلم يكن في وسعنا .. نعم لم يكن في وسعنا باية حال من الأحوال أن نحرم أنفسنا شرف مقابلتك .
وما إن نطق الرجل بهذه الكلمات حتى استوى جالسا على أحد المقاعد دون أن ينتظر دعوة من ربة الدار وحذا ابنه حذوه .
وبوغتت "جرمين" بذلك فراحت تنظر في حيرة وارتباك إلى "سونيا" .
وما لبث "كاروليه" الابن أن قال :
- آه ! ما أجمل هذا القصر يا أبتاه !!

فقال الأب مجيبا :

- نعم ، إنه قصر رائع يا بني .

وأعقب هذا سكتة قصيرة ثم قال الأب :

- نعم .. إنه قصر رائع يا سيدتي .

فقالت "جرمين" :

- نعم . ولكن اسمح لي بان أسالك عن الدافع لك إلى زيارة أبي؟

وتراجع مسيو "كاروليه" قليلا في مقعده ولف ساقا بساق .. ووضع أصابعه في جيبي صديريته وقال :

- لقد جئنا ننشد مقابلة أبيك بشأن الإعلان .. لقد جاء فيه أن مسيو "جورناي مارتان" يريد أن يبيع إحدى سياراته ، ولقد كان ابني دائما مولعا باقتناء سيارة يرتقي بها التلال أعني أن تكون قوتها ستين حصانا .

فقالت "جرمين" : إن لدينا سيارة قوتها ستون حصانا ولكنها ليست معروضة للبيع ، والواقع أن أبي قد استقلها اليوم .

- ربما كانت هي السيارة التي رأيناها في فناء الإصطبلات ؟

- لا ، فتلك قوتها أربعون حصانا ، وهي خاصة بي ولكن إذا كان ابنك مولعا حقا بارتقاء التلال بالسيارات فإن لدينا سيارة ثالثة قوتها مائة حصان وهي التي يريد أبي أن يبيعها . انتظر ، إن لدينا لها صورة فوتوغرافية .. أين الصورة يا "سونيا" ؟ لاريب انها موجودة في مكان ما .

نهضت الفتاتان وراحتا تبحثان عن الصورة في أدراج منضدة قريبة من النافذة وما كادت الفتاتان تديران ظهريهما إلي الزائرين حتى انطلقت يد "كاروليه" الفتى في حركة سريعة أشبه بانطلاق السهم فانطبقت على التمثال الفضي الصغير الموضوع فوق الدولاب المجاور له ودسه في جيبه .

وكان الأب ملقيا ببصره إلى الفتاتين يرقبهما حتى لكأنه لا يرى سواهما ولكنه همس في صوت غاضب :

- أعده مكانه أيها المجنون أعده !

ولكن الشاب زمجر متمردا فعاد الأب يقول :

- عليك اللعنة ... أعده مكانه !

وبنفس السرعة انطلقت يد الابن فاخرج التمثال من جيبه ورده إلى حيث كان فانفرجت أسارير الأب وتنفس الصعداء .

وجاءت "جرمين" تحمل إليه الصورة فقال وهو يتاملها في إعجاب :

- آه ، هذه هي السيارة المنشودة ! قوتها مائة حصان .. ترى ما هو اقل سعر تقبلون بيعها به ؟

فقالت "جرمين" :

- هذه مسالة لا دخل لي فيها . ! وينبغي أن تقابلا ابي وهو لا يلبث أن يرجع من "رين" .

فنهض مسيو "كاروليه" واقفا وهو يقول :

- إذن سننصرف الآن ، ولكننا سنعود عاجلا ..

وإني لأسف إذ ازعجتكما يا سيدتي بهذه الزيارة غير المنتظرة.

فردت عليه "جرمين" مجاملة فانحنى لها قائلا :

- إلى اللقاء إذن ؟

وغادر القاعة مع ابنه .

وقالت "جرمين" تخاطب "سونيا" :

- يا لهذه المخلوقات التي لا تطاق ، ومع ذلك ينبغي أن نجاملهما ما داما سيشتريان السيارة .

ثم تحولت إلى النافذة وقالت :

- الحق أن مسالة هذا اللوح الزجاجي تحيرني ! ليت شعري كيف حدث هذا ؟ الغريب ايضا أن "جاك" لم يعد حتى الآن .. لقد اخبرني بانه سيعود بين منتصف الخامسة والخامسة

فتهاوت "جرمين" على أحد المقاعد ولكنها لم تلبث فيه إلا عشرين ثانية ثم انبعثت واقفة مرة أخرى وهي تقول :

- الساعة الآن الخامسة إلا عشر دقائق ! لقد تاخر "جاك" !

ومشت إلى النافذة وراحت تطل على الأرض الفضاء والغابة المتصلة بالقصر . وقالت "سونيا" محاولة أن تخفف عنها :

- لعله ذهب إلى قصر "دي ريلزيير" لزيارة البارون ابن عمه .. وإن كنت اعتقد أن الدوق لم يعد يحفل بالبارون وإن من يراهما يظن أن كلا

منهما يكره صاحبه.

فقالت "جرمين" :

- آه ! ألاحظت ذلك إذن ؟ ولكني لا ألوم إلا "جاك" فهو يظهر الكثير من عدم المبالاة . ولقد رأيته منذ أيام ونحن في قصر "دي ريلزيير" يتشاحن مع البارون .

فقالت "سونيا" في انفعال :

- يتشاحن معه ؟

- نعم ، وعند انتهاء الزيارة تبادلا التحية بطريقة تدل على الغضب .

- إذن فقد تصافحا يدا بيد .

- لا .. لقد اكتفيا بإحناء الرأس في جفاء وخشونة .

وهبت "سونيا" واقفة وقد بدا الخوف والانزعاج في عينيها وغمغمت:

- إذن . إذن .

ولكن الكلمات اختنقت في حلقها . . فقالت "جرمين" وقد أقلقها ما رأته من فزع في وجه "سونيا" .

- إذن ماذا ؟ تكلمي !

فصاحت "سونيا" : المبارزة ! مبارزة البارون "دي ريلزيير" .

- ماذا ؟ إنك لا تعتقدين أنه سيبارز "جاك" حقا ؟

- لا أدري ولكن هذه المشاحنة التي جرت بينهما ؟! وفي هذا الصباح كان سلوك الدوق غريباً وقد خرج مع الأخوين "دي بوي" على ظهور الجياد .

فصاحت "جرمين" :

- آه .. بالتأكيد .. كل هذا محتمل بل إنه مؤكد !

فصاحت "سونيا" :

- ولكن الأمر فظيع . تصوري .. تصوري أنه قد يصاب بسوء !

فقالت "جرمين" في زهو وخيلاء :

- إنني أعلم السبب في هذه المبارزة . إن الدوق يتبارز من أجلي أنا.

وجعلت تثب في أرجاء القاعة في مرح وابتهاج وجعلت "سونيا" تحملق إليها وقد غامت عيناها .. كان وجهها شاحبا كوجوه الأموات وبدنها يرتعد اضطرابا ، أما "جرمين" فلم تكن تفكر إلا في أن الدوق

يتبارز من أجلها .

وقالت "سونيا" في انزعاج :

- تصوري انه يبارز الآن مبارزا من الطبقةالاولى .. انت نفسك قلت منذ لحظات "إنه مبارز لا يقهر .

وسترت وجهها بيديها حتى لا تتخيل الصورة المفزعة ..

اما "جرمين" فكانت في هذه اللحظة تتامل جمالها في المرآة مفتونة معجبة .

ومشت "سونيا" إلى النافذة كانما تريد ان تقطع الارض ببصرها لترى الدوق في مبارزته . وبغتة صاحت :

- آنسة "جرمين" . انظري . انظري ..

- ماذا ؟

- فارس . انظري هناك . إنه هو .. الدوق ! فقالت "جرمين" :

- اتظنين ذلك ؟

- إني موقنة ! فكان كل ماقالته "جرمين" :

- حسنا . يسرني انه رجع في الوقت المحدد . إنه يعلم انني امقت ان اظل في انتظاره لقد قال لي إنه سيعود في الساعة الخامسة على الاكثر .وها هو ذا قد رجع . فقالت "سونيا" :

- ولكن من المحال ان يصل في الموعد المحدد إذ لابد أن يدور حول القصر ليبلغ الباب فإن الارض التي تفصلنا عنه حافلة بالاعشاب والحفر ولا يستطيع الجواد السير فيها

- ومع ذلك فها هو ذا قادم إلينا في خط مستقيم . وكان هذا صحيحا فقد انحرف الفارس عن الطريق العام وراح يخوض هذه المراعي غير الممهدة وأخيرا بلغ أول الحديقة فهتفت "جرمين" في إعجاب :

- يا له من جواد أصيل . ! لقد اشتراه أبي بثلاثمائة جنيه .

الفصل الثالث

اخذت "سونيا" موجة من الفرح الجارف إذ رات الدوق "دي شارميراس" مقبلا لم يصبه أذى من أثر المبارزة وطفرت الدموع من عينيها فتنحت عن النافذة واتجهت إلى مائدة الشاي حتى لا تفطن "جرمين" إلي عبراتها .

وأقبل الدوق من الباب المتصل بالحديقة وقال و في صوته الفرح الفياض المرح حين رأى "سونيا" إلى جانب مائدة الشاي :

- إذا كان هذا الشاي لأجلي فإني أريد قدحا يفيض به وثلاث قطع من السكر مع القليل من الكريمة . وأرسل بصره إلى ساعته وقال : حسنا .! لقد جئت في الموعد تماما .

- وانحني أمام "جرمين" ومال على يدها يقبلها على طريقة الممثلين.

وقالت "جرمين" تسأله :

- أتبارزت اليوم ؟

فنظر إليها في استغراب وقال :

- عجيب جدا ! أبمثل هذه السرعة جاءك نبأ المبارزة ؟

- وما كان سببها ؟

كان كل ما يعنيها من الأمر أن تسمع من بين شفتيه انه إنما تبارز من اجلها ولكن قبل أن يجيب انبرت "سونيا" قائلة في قلق :

- إن سموك لم تصب بجرح ؟

فابتسم لها في رقة وقال :

- حتى ولا بخدش !

فقالت "جرمين" في صوت تبدو فيه نبرات الحنق :

- "سونيا" . عجلي بإنجاز هذه البطاقات من فضلك .

ثم التفتت إلى الدوق وقالت :

- أكنت تبارز من أجلي ؟

- وهل يسرك ان تعلمي انني بارزت من اجلك ؟

نطق بهذه الكلمات وقد التمع في عينيه بريق من السخرية :.

وقالت "جرمين" :

- نعم يسرني بالتاكيد ولكن لا .. إنك لم تبارز من أجلي إنك بارزت من أجل امرأة أخرى فابتسم وقال :

- إذا كنت قـد بارزت بسـبب امـرأة فلن تكون هذه المرأة سـواك بالتاكيد.

فأسرعت تقول :

- بالتاكيد بالتاكيد .. فليس معقولا أن تبارز من أجل امرأة أخرى ! ليس معقولا أن تبارز من أجل "سونيا" مثلا أو من أجل خادمتي ولكن ما سبب هذه المبارزة ؟

- أوه . إنه سبب سخيف . كنت قليل الحلم ضيق الصدر وقد قال "دي ريلزيير" ما أغاظني.

- إذن ما كانت هذه المبارزة من أجلي :! ومادام أنها ليست بسببي فلا ريب أنها مبارزة سخيفة لا داعي لها على الإطلاق .

واكتاب وجه "جرمين" بخيبة الرجاء واشتد بريق السخرية في عيني الدوق "دي شارميراس" . وقال :

- ولكن هبي أنني قتلت في هذه المبارزة ؟! حينذاك كان أحرى بالناس أن يقولوا : "لقد قتل الدوق "دي شارميراس" في مبارزة من أجل الآنسة "جرمين جورناي مارتان" ! ولقد كان يسرك - بلا ريب - سماع هذا النبأ.

ولم تكن عيناه وحدهما هما الساخرتان بل كانت نبرات صوته حافلة بالسخرية أيضا .

وقالت "جرمين" في دلال :

- آه .. هانتذا قد بدأت تغيظني مرة أخرى .

- أنا ؟ محال أن يجري لي هذا الخاطر ببال أيتها العزيزة .

- وما كان من شأن البارون "دي ريلزيير" ؟ هل جرح ؟

فضحك الدوق ضحكته الرنانة المرحة وقال :

-البارون ؟ مسكين ! إنه لن يغادر فراشه قبل انقضاء ستة أشهر.

فبدا الجزع في وجه "جرمين" وهتفت :

- يا إلهي !

وكانت "سونيا" تختلس النظر في خلال هذا الحديث إلى وجه الدوق

فترى ما يشيع فيه من أمارات الانفعال لكل كلمة ينطق بها ، لم يكن له هذا الوجه الجامد الرصين بل كان له وجه يتدفق فيه سيل من المشاعر الطاغية .

وكانت إذا التقت عيناها بعيني الدوق غضت من بصرها أو أشاحت بوجهها وقد تضرجت وجنتاها حياء .

وإذ فرغ الدوق من تناول الشاي اخرج من جيبه علبة صغيرة من الجلد وهو يقول:

- يا إلهي .. لقد انقضت ثلاثة أيام لم أتشرف في خلالها بتقديم هدية إليك .

وانكشف غطاء العلبة عن عقد من اللؤلؤ باهر فهتفت "جرمين" :

- آه ! ما أبدعه !

وأسرعت إلى "سونيا" تريها العقد ثم تحولت إلى المرآة .

ووقفت تطالع فيها جمالها وقد زان جيدها العقد اللؤلؤي .

واقترب الدوق من "سونيا" وهو يقول :

- يا إلهي .. أكل هذه بطاقات الدعوة إلى الزفاف ؟

فاجابته "جرمين" في زهو وفخار :

- و تصور أننا لم نبلغ بعد إلا الحرف السادس من حروف الهجاء؟

- عجبا ! لعلك نويت أن توجهي الدعوة إلى الناس جميعا ؟

فقالت "جرمين" في جذل :

- سيكون زفافي حفلة الموسم التي لا تنسى ! وإني لموقنة بأنه ستحدث مصادمات بين السيارات لشدة الزحام . أو على الأقل سيغمى على بعض السيدات .

فقال الدوق :

- ينبغي إذن أن تتخذي الحيطة حتى لا يقع شيء من هذا القبيل .

فهزت كتفيها بلا مبالاة وقالت :

- وهل تحسب أن وقوع هذه الحوادث يضايقني ؟ إنها على النقيض ستترك في الأذهان أثرا لا ينسى فيظل الناس يتحدثون عن حفلة عرسي أشهرا طوالا .

برقت عينا الدوق وكادت نظراته توحي بالازدراء ولكنه كتم ما جاش

بصدره وهز كتفيه وتحول إلى "سونيا" قائلا :

- هل لك يا انسة "كريتشنوف" أن تعزفي لي على "البيانو" إحدى مقطوعات "جريج" ؟ لقد سمعتك بالأمس تعزفين ولا ريب عندي من انك خير من تعزف موسيقى "جريج" !

ولكن "جرمين" ابتدرته بقولها :

- عفوا يا "جاك" . ولكن الا ترى أن الآنسة "كريتشنوف" منهمكة في العمل ؟

- إن الراحة كفيلة بان تجدد نشاطها . هيا يا آنسة"كريتشنوف" أرجوك .

فاحمر وجه "جرمين" غضبا وقالت وهي تغالب غيظها :

- "جاك" ،، إن لدي حديثا مهما احب أن أكاشفك به .

فابتسم الدوق وقال :

- آه . وانا ايضا لدي شيء مهم كدت أنساه . ها هو ذا .

واخرج من جيبه صورة فوتوغرافية وهو يقول :

- إنها آخر صورة اخذتها لك وللآنسة "سونيا" .

فقالت "جرمين" في غيظ :

- "جاك" .. اهذا ما تسميه شيئا مهما ؟

فضحك الدوق بلا اكتراث وقال :

- ولم لا ؟ إنه مهم كسائر السخافات التي تملأ هذه الأرض.انظري .. ما أجمل هذه الصورة !

- أتراها جميلة ؟ إنها صورة فظيعة مخيفة .. ما اقبح وجهي في هذه الصورة .

فابتسم الدوق وقال في صوت رقيق :

- إن وجهك لا يمكن ان يكون قبيحا حتى لو كان المصور حمارا جاهلا. ومع ذلك فلتكن الآنسة "سونيا" هي الحكم .

ولكن "جرمين" قاطعته في جفوة :

- "جاك" ..!

فقال معتذرا :

- حقا ! لقد كدت انسى ان لديك حديثا مهما فما هو يا ترى ؟

– لقد اتصلت بي "فيكتوار" تليفونيا من باريس وانباتني ان بعض الأصدقاء أهدوا إلينا عقدا من اللؤلؤ .!

فعاد الدوق يهتف مرة أخرى :

– هذا عظيم جدا .

فقطبت "جرمين" جبينها وقالت :

– يالك من غرساذج !

ايكون هتافك للعقد اللؤلؤي هو نفس هتافك للمدية و المحبرة ؟

الحق انك لا تكاد تفرق بين الهدايا .

فقال الدوق يسألها :

– إن العقد بالتاكيد من أصدقاء أبيك !

– بالتاكيد .

– والمدية ؟ أليست من أحد أصدقائي ؟

– بلى .

فهز رأسه وقال في نبرة ذات مغزى :

– وهذا ما توقعت حين رأيت اهتمامك بالعقد وتحقيرك للمدية .

فقالت "جرمين" وقد بدا الغضب في نبرات صوتها :

– "جاك" ! إنك لا تكاد تكترث بي .

– وكيف هذا ! إنني أراك دائما فتاة ساحرة !

فسارت "جرمين إلى النافذة غضبى دون أن تجيبه بكلمة واحدة وراح الدوق يتمشى في القاعة وهو يرسل بصره من حين لآخر إلى الصور المعلقة على الجدار ثم قال بغتة :

– عجبا ! لماذا انتزعتم صورتي من بين صور أجدادي ؟.

فتحولت "جرمين تنظر إليه .. ورفعت "سونيا" بصرها إليه متسائلة فقال الدوق مسترسلا :

– نعم .. فإني أذكر أن صورتي كانت معلقة هنا مكان هذه السجادة .

فقالت "جرمين :

– ولكننا كتبنا إليك في هذا منذ ثلاثة أعوام ، أما وصلتك الصحف التي بعثنا بها إليك ؟

فهز رأسه نفيا وقال :

- منذ ثلاثة أعوام كنت على مقربة من القطب الجنوبي ولم يكن البريد يصل إلي .

فقالت "جرمين" :

- لقد كتبت صحف باريس في هذا الشأن طويلا .. لقد سرقت صورتك.

- سرقت ؟ ومن الذي سرقها ؟

- سترى .

ومشت "جرمين إلى الجدار فأزاحت السجادة عن موضعها قليلا فانكشفت عن هذه الكلمات مخطوطة بالطباشير :

"ارسين لوبين"

فقال الدوق في استغراب :

- "أرسين لوبين" !

فقالت "سونيا" :

- نعم . إنه السارق ومن عادته أن يوقع باسمه حيث يرتكب سرقته .

فعاد الدوق يقول متسائلا :

- ولكن من يكون "ارسين لوبين" هذا ؟

- كيف هذا ... أهناك من يجهل هذا الاسم ؟!

- إني أجهله لأنني أمضيت سبعة أعوام في القطب الجنوبي كما تعلمين .

فقالت "جرمين" في حماسة :

- إن "ارسين لوبين" هو بلا ريب أظرف وأجرأ لص في فرنسا . إنه في خلال الأعوام القليلة الماضية دوخ رجال الشرطة السريين في العالم بأسره ..

لقد هزأ بـ "جانيمار" أعظم رجال شرطة فرنسا السريين وقهر "شرلوك هولمز" الشرطي الإنجليزي العظيم وكذلك غلب "جوشار" الشرطي الباريسي الشهير .. هذا يا صديقي هو "أرسين لوبين" .. فهل علمت من يكون ؟

فقال الدوق متسائلا :

- عجبا ! ولكن .. أشاب هو أم كهل ؟ وهل هو ..

فقاطعته "جرمين" بقولها :

- هذا مالا علم لأحد به ! إنه أبرع الناس في التنكر .. حتى ليلقبه "جانيمار" بذي المائة وجه . تصور انه تناول العشاء في السفارة الإنجليزية ليلتين متواليتين دون أن يفطن أحد إلى أمره .

فقال الدوق في استغراب :

- إذن فكيف عرف انه تعشى هناك مرتين ؟

- لأنهم أدركوا في الليلة الثانية ان احد المدعوين قد اختفى بغتة ومعه اختفت جميع جواهر السفارة .

- جميع جواهر السفارة ؟

- نعم . وقد ترك "ارسين لوبين" بطاقته في مكان الحادث وعليها هذه الكلمة : "هذه ليست سرقة بل هي تعويض عن مجموعة "والاس" التي استوليتم عليها أيها الإنجليز "

فابتسم الدوق وقال :

- إنه لص وطني ! لقد ثار لفرنسا من الإنجليز !

فقالت "سونيا" وقد تالقت عيناها :

- وهو أيضا لص شريف . هل تذكر حادث بنك "داراي" بنك الاقتصاد للفقراء؟

فقال الدوق :

- بنك "داراي" ! آه . أتعنين ذلك المالي الذي أقام منشاة تجارية لاستثمار مدخرات الفقراء ؟

كان مشروعا وهميا وكان صاحبه محتالا .. استولى على ما ادخره الفقراء بعرق الجبين وخرب بيوت المئات مئات من الأسر الفقيرة .

فقالت "سونيا" :

- تماما . لقد سطا "لوبين" على بنك "داراي" فسرق ما في خزانته من جواهر وأموال ووزعها على أولئك الفقراء الذين سلبهم "داراي" أموالهم في مشروعه الاحتيالي .

فقال الدوق :

- إنه ليس باللص إذن بل هو على النقيض لص شريف . بل هو محسن كبير ..

فقالت "جرمين" في احتقار :

- وهل كان شريفا أم محسنا حين سرق الصور النفيسة التي يقتنيها أبي ؟

فقال الدوق في استغراب :

- لكن كيف استطاع أن يسرقها وابوك - كما أعلم - من اشد الناس حرصا؟

- وهذا الحرص ذاته هو الذي اتاح لـ "أرسين لوبين" فرصة الاستيلاء على هذه الصور !

- لا ريب إذن انه كان له شركاء في المنزل عاونوه على إتمام هذه السرقة .

- بالتاكيد وهل تدري من كان شريكه ؟! إنه ابي نفسه !

فقال الدوق في دهشة :

- أبوك ؟! وكيف هذا ؟ قصي علي ما حدث !

- لقد تلقى ابي رسالة في أحد الأيام ولكن انتظر ثم التفتت إلى "سونيا" قائلة : "سونيا" هاتي رسالة "لوبين" من درج المكتب .

وأتت "سونيا" بالرسالة فقدمتها إلى الدوق فنظر إلى غلافها وقال :

- إن خطها غريب وله طابع خاص .

فض الرسالة وراح يتلوها في صوت مرتفع :

"سيدي العزيز"

"معذرة إذا كتبت إليك على غير سابق معرفة ولكنني موقن بانك تعرفني بالاسم على الأقل .

إن لديك صورة رائعة من ريشة "جونسبرج" موضوعة في قاعة الاستقبال المجاورة للبهو في قصرك ، ولهذه الصورة في نفسي مكانة عظيمة وفي نفس القاعة صور خالدة لـ "جويا" ولـ "كان نايك" . وفي البهو - أعني على جدرانه - سجاجيد أثرية مرسوم عليها صور فنية غاية في الإبداع والروعة أما ذلك التاج الذي ابتعته في المزاد الذي أقيم في قصر المركيز "فيروناي" فهو بلا ريب خليق باشد الإعجاب .

وقد كان من قبل من مقتنيات الأمير "دي لامبال" .

هذا التاج يفتنني جدا لأن تاريخه يتصل اتصالا وثيقا بماساة اليمة

.. فضلا عن انه مرصع بجواهر تبلغ قيمتها نصف مليون فرنك على أقل تقدير .

"فارجو يا سيدي أن تحزم هذه التحف وتبعث بها طردا باسمي إلى محطة "بانينيول" فاكون ممتنا لك اشد الامتنان ، اما إن أبيت أن تقدمها لي هدية فسازور القصر في مساء الخميس الموافق ٧ اغسطس وانتزعها بيدي ..

"واخيرا ارجو ان تصفح عني إذا كانت رسالتي هذه قد أزعجتك وثق بانني لك دائما المخلص .

"ارسين لوبين"

حاشية : إذا كانت الصور غير مغطاة بالزجاج كما اذكر فارجو قبل إهدائها إلي أن تامر بتركيب الزجاج للإطارات وقاية لها من التلف ..

"ا . ل "

وإذ فرغ الدوق من قراءة هذا الخطاب راح يقهقه ضاحكا وقال:

- الحق انه لص ظريف .. ! لاشك أن هذه الرسالة أضحكت أباك طويلا ..!

- أضحكته ! إنه يعرف يا عزيزي أن "ارسين لوبين" ليس بالرجل الذي يمزح او يهزل !

- كيف ؟ اتعنين انه أهداه هذه التحف النادرة ؟

- لا بالتاكيد . ولكن هذا الإنذار ملأ نفسه غضبا وقلقا . وكان يعلم أن "لوبين" داهية لا يشق له غبار وانه دوخ رجال الشرطة في أنحاء العالم ولذلك راى أن يضع بنفسه خطة يحبط بها ما ينويه هذا اللص الجريء ، فما كان منه إلا أن ذهب من فوره إلى صديق له من ضباط الجيش وروى له ما حدث فبث الضابط الاطمئنان في نفسه ووعده بأن يبعث إليه بسبعة من جنوده يخفرون القصر في الليلة المعهودة التي حددها "لوبين" للسطو . وبالفعل جاء الجنود وعلى رأسهم أحد المساعدين ولبثوا يحرسون القاعة التي فيها التحف حتى الصباح .

فقال الدوق :

- وبالتاكيد عجز "ارسين لوبين" عن تنفيذ وعيده ؟

- لا .. بل سرق الصور والسجاجيد والساعة الأثرية وغيرها ؟

- وتاج الأميرة "دي لامبال" هل ظفر به ايضا ؟

- لا . لأنه كان مودعا في بنك بفرنسا ولعله سرق صورتك على سبيل التعويض لأنه لم يذكر في رسالته انه سيسرق هذه الصورة.

- ولكن كيف يمكن أن تقع السرقة وهؤلاء الجنود يخفرون القاعة؟ أتراه قد قتلهم ؟

- لا . لم يقتلهم لأنه ما كان في حاجة إلى شيء من هذا فقد كان المساعد هو نفسه "أرسين لوبين" أما الجنود السبعة فما كانوا إلا اعوانه متنكرين .

فصاح الدوق في دهشة .

- هذا عجيب ، إذن فقد كان ضابط الجيش صديق أبيك من أعوان "لوبين" أيضا .

- لا . ولكن التحقيق أثبت أن الجنود دخلوا احد المقاهي وهم في طريقهم إلي القصر ليتناولوا شيئا من الشراب ..فدعاهم احد الحاضرين إلى مائدته وقدم إليهم الشراب على حسابه ثم دعاهم إلى ركوب سيارته لينقلهم إلى القصر ، ولا ريب أنه دس مخدرا في الشراب لأن الأهالي عثروا على الجنود وهم مكممون موثقون وقد نزعت عنهم ثيابهم العسكرية . وهكذا ارتدى"لوبين" ورجاله هذه الثياب وحضروا إلى القصر منتحلين صفة الجنود الذين اوفدهم الضابط لحراسة التحف .

فابتسم الدوق وقال :

- الحق انه بطل عظيم .

- وقد دعا أبي الشرطي الباريسي الشهير "جوشار" ليحقق الحادث لعلمه بأن بينه وبين "لوبين" عداوة قديمة مستحكمة ولكن "جوشار" أخفق في مهمته .

وساد الصمت برهة ثم قالت "جرمين" فجاة :

- إني لا أستبعد أن يكون "لوبين" الآن على مقربة من القصر.

وقال الدوق في استغراب :

- ماذا تقولين ؟

- لقد حدثت اليوم بعض حوادث مريبة أثارت شبهاتي انظر .. اترى

هذا التمثال الفضي ؟ لقد نقل من موضعه دون أن يلمسه أحد منا وهذا اللوح الزجاجي مكسور أو منزوع من مكانه. ومن الغريب انه يقع فوق المزلاج مباشرة كان أحدا نزعه لينفذ يده من الفجوة ويحرك المزلاج .

ألا يسبب هذا الحيرة والشك ؟

الفصل الرابع

اقترب الدوق "دي شارميراس" من النافذة وراح يفحصها ثم قال :

- إن الأمر فيما ارى خطير هذا اللوح لم يكسر . وإنما انتزع من موضعه انتزاعا . وينبغي إذن أن نبلغ أباك بما حدث حتى يصون تحفه ونفائسه .

فقالت "جرمين" :

- أرأيت إذن أني كنت على حق حين قلت : إن "ارسين لوبين" هو اللص الوحيد الموجود في فرنسا ؟ قد يكون هناك لص آخر ينوي أن يسطو على القصر .

فتح الباب في هذه اللحظة ودخل حارس الصيد يقول :

- بالباب زائران يطلبان مقابلتك يا سيدتي .

- هل عهدوا إليك بحراسة الباب يا "فيرمان" ؟

- نعم يا سيدتي فقد ذهب الخدم جميعا إلى المحطة ولم يبق هنا أحد غيري وزوجتي .

- ومن هذان الزائران ؟

- إني آسف يا سيدتي فإنك تعلمين أن ذاكرتي ضعيفة لا تعي الأسماء .

فابتسم الدوق وقال متهكما :

- هذه والله صفة ينبغي أن يتصف بها كل من يعهد إليه بمقابلة الزائرين .

فقالت "جرمين" :

لا أظنهما "كاروليه" وابنه .. لقد أنبأتهما أن ابي لن يعود إلا بعد ساعة على الأقل . أدخلهما يا "فيرمان" .

وقال الدوق :

- "كازوليه" . إني ما سمعت من قبل بهذا الاسم .

- منذ برهة قصيرة طلب رجلان مقابلتي فإذا بهما ريفيان لهما هيئة مضحكة و ..

غير انها بترت جملتها إذ فتح الباب :
وكان الداخل هو "كاروليه" الأب وكان في رفقته شاب وقال الأب:
- هذا هو ابني الثاني وهو يعمل في إحدى الصيدليات .
فقالت "جرمين" في جفاء :
- يؤسفني أن أبي لم يحضر بعد .
فقال "كاروليه" باسما :
- لا حاجة بك إلى الاعتذار يا سيدتي .
وجذب مقعدا وجلس دون أن ينتظر منها دعوة إلى الجلوس ، وحذا ابنه حذوه فقالت "جرمين" :
- إني أخشى أن تطول غيبة أبي ولا أحب أن تضيعا وقتكما في انتظاره .
فهز "كاروليه" راسه متجاهلا إشارتها إلى انصرافه قال :
- ليس لي مايشغلني مطلقا ولا أحب إلي من انتظاره .
ثم التفت إلى الدوق وقال :
- هل تعلم يا سيدي ما هو أقل مبلغ يرضي مسيو "مارتان" ثمنا لسيارته ؟
فقال الدوق مجيبا :
- الحق اني لا أعلم شيئا عن هذا الموضوع .
وفتح الباب في هذه اللحظة ودخل القاعة شاب آخر فلما رآه مسيو "كاروليه" قال :
- "برنارد" ! لماذا جئت أما سالتك أن تبقى في الحديقة ؟
فقال "برنارد" مجيبا لقد جئت لأتفرج على السيارة ، ونظر مسيو "كاروليه" إلى "جرمين" وقال :
- هذا هو ابني الثالث يا سيدتي وهو يدرس الحقوق .
فقالت "جرمين" في صوت خافت :
- ترى هل لك ابناء آخرون ؟
وقبل أن يلقي بجوابه دخل "فيرمان" وأخطر الحاضرين بأن سيده قد رجع من الخارج فقالت "جرمين" :
- حمدا لله والآن تفضلوا معي ايها السادة لأقدمكم إلى أبي .

سارت إلى الباب وتبعها "كاروليه" واثنان من أبنائه اما "برنارد" فقد تباطأ عنهم قليلا ومضى يتامل ما في القاعة من صور وتحف ثم اقترب من أحد الدواليب وفي حركة سريعة مد يده واختطف شيئين كانا فوقه ودسهما في جيبه خلسة .

ورآه الدوق فهب واقفا وجرى في اثره وأخذ بذراعه ثم أوصد باب القاعة وقال له في صوت خافت :

- لم يكن يليق بك يا صديقي أن تفعل هذا .

فقال الشاب متظاهرا بعدم الفهم :

- أفعل ماذا ؟

فابتسم الدوق وقال :

- لقد رايتك تاخذ علبة سجائر فضية من فوق دولاب الكتب .

فقال الشاب متحديا :

- إني لم آخذ شيئا .

فما كان من الدوق إلا أن دس يده في جيب الفتى وأخرج علبة للسجائر فامتقع وجه المسكين وقال :

- إنها . إنها غلطة يا سيدي .

فمد الدوق يده في الجيب الثاني واخرج العلبة الجلدية التي تحتوي على العقد اللؤلؤي المهدى إلى "جرمين" وقال باسما :

- وهذه فيما أظن - غلطة أخرى ؟

فصاحت "سونيا" في قلق : يا إلهي - العقد اللؤلؤي ؟

وقال الشاب متوسلا :

- سيدي . اتوسل إليك أن تصفح عني سالتك بالله ان تكتم الأمر عن أبي .

واغرورقت عيناه بالعبرات فقال الدوق :

- إنك لص .

- رحمة بي أقسم أنني لن أرتكب هذا العمل مرة أخرى .

تخلى الدوق عن ذراع الشاب وهو يقول :

- حسنا ساخلي سبيلك على أن تكون هذه هي المرة الأخيرة اغرب من أمامي .

وانطلق الشاب مسرعا وهو يقول :

- شكرا .. شكرا .

وأوصد الدوق باب القاعة مرة أخرى ثم قال يخاطب "سونيا" :

- لا ريب عندي في أن هذا الشاب سيزج به في السجن يوما ما ... يالجسارته ! أيسرق على مرأى منا ؟ كان ينبغي أن أرسله إلى السجن .

فقالت "سونيا" :

- لقد أحسنت صنعا بالعفو عنه .

ووضع علبة العقد فوق الدولاب واقترب من "سونيا" وهو يقول :

- ولكن ما بك ؟ إني أراك بادية الشحوب ؟

- لقد هز الحادث أعماق نفسي هزا عنيفا ! يا له من مسكين .

واغرورقت عيناها بالعبرات .

- أتشفقين عليه إذن ؟

- إنه جدير بالشفقة . كانت نظراته حزينة ووجهه ناطقا بالهلع .

فقال الدوق في صوت رقيق :

- يا لك من فتاة رقيقة الإحساس .

فقالت "سونيا" :

- قد تكون رقة الإحساس ضربا من السخافة والحمق . ولكن ما كان يسعني أن أتجاهل عينيه المتوسلتين . وأنت نفسك أشفقت عليه . نعم .. إنني أعلم أن لك قلبا رقيقا رحيما في الصميم ؟

فقال الدوق متسائلاً :

- ولم في الصميم ؟

- لأنك تحاول دائما أن تتظاهر بقلة الاكتراث وبلادة الإحساس والرغبة في التهكم ولكني أعلم أن هذا كله ليس إلا قناعا كاذبا يعمد إلى الاختفاء وراءه أولئك الذين تعذبوا وقاسوا كثيرا .

وأعقبت هذا سكتة قصيرة وتاملها الدوق مليا .. ثم قال في صوت غريب النبرات :

- "سونيا" ، إنك لست سعيدة هنا .

فقالت على عجل :

- أنا ؟ ولماذا ؟

- إن في ابتسامتك حزنا وفي نظراتك ألما وشقاء ..
أأنت وحيدة في هذا العالم ؟
ودان صوته نابضا بالإشفاق ونظراته فياضة بالحنان .
واحمر وجه الفتاة وأجابت :
- نعم .. إنني وحيدة في هذا العالم .
- أليس لك أهل أو أصدقاء ؟
- كلا
- لا أعني هنا في فرنسا بل أعني في بلادك في روسيا ؟
وبدت على شفتيها ابتسامة حزن وقالت :
- ليس لي أهل أو أصدقاء حتى في وطني ومع ذلك فإنني لا أكاد أكترث لهذا ، غير أني في بعض الأحيان ..
وأمسكت بغتة ونظرت إليه متفرسة وقالت :
- أخشى أن تهزأ بي .
فهز رأسه وقال :
- - محال فإني أحترم القلوب الحساسة .
- في بعض الأحيان أتمنى أن تصلني رسالة ما من صديق أو من شخص يعطف علي ، وأجدني على الرغم مني أبكي حين أذكر أنني وحيدة في هذه الدنيا .
وكانت سكتة أخرى ثم هزت الفتاة كتفيها بلا اهتمام وقالت :
و مع ذلك فإنني لا أنفك أهون من شأن هذه المشاعر كلما طافت بنفسي وأنعتها بالسخافة . وأنا أرجو أن أجد في هذا بعض العزاء .
وفتح باب القاعة في هذه اللحظة في حركة عنيفة ودخلت "جرمين" وهي بادية الغضب وصاحت بـ "سونيا" في حدة :
- "سونيا" ! إنك أصبحت لا تحتملين . ألم أنبئك بأن تودعي حقيبتي الخطابات التي في درج مكتبي ولكنك نسيت أن تفعلي هذا ؟
فقالت "سونيا" معتذرة :
- إنني آسفة . كنت أنوي أن ..
ولكن "جرمين" قاطعتها في جفوة :
- وما فائدة هذا الاعتذار ؟! أتحسبين نفسك ضيفة علينا لا تؤدين

عملا في هذه الدار ؟ لقد أصبحت شديدة الإهمال وإهمالك لا يطاق .

فقال الدوق محاولا تسكين غضبها :

- إن السهو مغتفر يا "جرمين"..

ولكنها صاحت به ثائرة :

- "جاك" : ليس من حقك أن تتدخل في شؤون الدار . إنك فعلت هذا بالأمس فهل تريد أن تحرم علي توجيه اللوم إلى خدمي ؟!

فقال الدوق في عتاب :

- "جرمين"!

وتحولت "جرمين إلى "سونيا" وصاحت بها :

- اذهبي بهذه الرسائل والأدوات إلى غرفتي أسرعي .

ثم غادرت الغرفة بعد أن صفقت الباب خلفها في عنف .

همت "سونيا" بأن تجمع الرسائل التي نثرتها "جرمين" على الأرض وهي في فورة غضبها ولكن الدوق ابتدرها بقوله :

- دعيني أجمعها بدلا عنك .

وجمع الرسائل ووضعها على المكتب ثم قال :

- لا تغضبك ثورة "جرمين" فإنها طيبة القلب وعيبها الوحيد سرعة انفعالها . لقد أفرط أبوها في تدليلها فاعتادت أن ترى كل رغباتها ملباة.

- لا . إنني لست متكدرة .

- يسرني أن أسمع منك هذا .

وتفرس فيها الدوق برهة ثم مال فوق يدها يقبلها في احترام .

وتضرج وجه "سونيا" احمرارا وراحت تحملق إلى وجه الدوق ثم انطلقت تجري صوب الباب وإذ بلغته استدارت وألقت على الدوق نظرة خاطفة ثم غادرت القاعة .

الفصل الخامس

لبث الدوق "دي شارميراس" برهة في القاعة يرقب الباب الذي مرقت منه "سونيا" بعينين شاردتين .. ثم تنهد وهبط إلى الحديقة فرأى مسيو "جورناي مارتان" يتحدث إلى مسيو "كاروليه" وهو يقول :

– لا يا سيدي ، هذا اقل ثمن أبيع به سيارتي .

فقال مسيو "كاروليه" واليأس باد في صوته :

– ولكنه ثمن باهظ يا سيدي .

– باهظ ؟! كيف هذا ؟ إنك لن تجد مجنونا يبيعك سيارة قوتها مائة حصان بالف جنيه . .

– إنني أعتقد يا سيدي أنني مغبون في هذه الصفقة .

فقال المليونير :

– بل أنا المغبون يا سيدي .

سيارة جديدة فاخرة تباع بالف جنيه وقد كان ثمنها الفا وخمسمائة منذ اشهر .

– ولكن ؟

– أوه . كفى يا سيدي حسبك جدلا الآن .. ينبغي أن تجربها أولا .

– ولكن ألف جنيه مبلغ جسيم .

– جسيم ! ألا ما أشد عنادك يا سيدي !

جربها أولا:

ونادى مسيو "مارتان"سائق سيارته وقال له :

– "جان" دع هؤلاء السادة يجربوا السيارة .

ثم التفت إلى مسيو "كاروليه" وقال :

– إنك يا سيدي من أبرع رجال الأعمال الذين قابلتهم في حياتي ،، لقد غلبتني على أمري وإلا لما بعتك هذه السيارة بالف جنيه .

ومضي "كاروليه" هو وابناه إلى الجراج في رفقة سائق السيارة .. وقال المليونير مخاطبا الدوق :

– لقد خدعته وأوقعته في الفخ .

فابتسم الدوق وقال :
- إنك رجل أعمال لا نظير له .
فقال المليونير في زهو وفخار :
- إن السيارة قديمة ولا تساوي إلا بضع مئات ولكني سأبيعها له بألف جنيه .
ثم صعدا الدرج الرخامي ودخلا البهو وجلس مسيو "مارتان" على مقعد أثري من الطراز الإمبراطوري وقال :
- كيف نسيت يا عزيزي الدوق أن تسألني عن نتيجة مقابلتي للوزير اليوم ؟ ألا تعلم أنني تناولت معه طعام الغداء ؟
قال الدوق في غير اهتمام :
- ألديك أنباء مهمة ؟
- بالتأكيد .. غدا سيصدر قرار بالإنعام عليك بوسام اللجيون "دونير" فينبغي أن تكون مسرورا .
فقال الدوق بلا اهتمام :
- بالتأكيد .. هذا بديع .
فقال مسيو "مارتان" :
- أما أنا فإنني سعيد .. سعيد جدا.. والآن ينبغي يا صديقي أن تطمح إلى ما هو أعظم من هذا الوسام .. ينبغي أن تلتحق بالأكاديمية .
فقال الدوق في استغراب :
- الأكاديمية ؟! ولكن ما اللقب العلمي الذي يجيز لي هذا الانضمام إلى الأكاديمية ؟
- لقب الدوقية .. ألا تعلم أن هذا اللقب خليق بأن يفتح أمامك جميع الأبواب ؟
- ولكني ..
غير أن المليونير قاطعه بقوله :
- إنني أريد يا عزيزي الدوق أن أزوج ابنتي رجل كفاح من رجال الأعمال .. أريد أن يكون صهري حائزا على وسام "اللجيون دونير" وعضوا في الأكاديمية .
وحين رأى صهره يضحك قال يسأله :

- ما الذي يضحكك ؟
- لا شيء .. لا شيء ولكن صدقني إنك رجل مدهش .
- بالتأكيد إنني رجل مدهش فإنني رجل أحب العمل وأحب الآداب والفنون . إنني كما ترى شديد الولع باقتناء التحف واللوحات الفنية والأثاثات الأثرية وفي وسعي أن أفخر بأن لدي متحفا يضم أبدع ما أخرجته أيدي المصورين .
- هذا أمر اتفق عليه الجميع .
فابتسم المليونير وقال :
- ومع ذلك فإنك لم تر أبدع تحفي . أعني تاج الأميرة "دي لامبال" . إن ثمنه لا يقل عن نصف مليون فرنك .
- لا غرابة إذن في أن يمني "ارسين لوبين" نفسه بسرقة هذا التاج .
فصاح مسيو "مارتان"
- بالله عليك لا تذكرني بهذا الشيطان .
- لقد أرتني "جرمين" الخطاب الذي أرسله إليك ولا اكتمك انه خطاب ظريف .
- ظريف ؟ إنه شيطان رجيم . لقد كدت أصاب بصدمة عصبية بسبب هذا الخطاب المشؤوم . نعم عندما جاءني هذا الخطاب كنت جالسا في هذا البهو نفسه ...
ولكنه أمسك عن متابعة الحديث ففي هذه اللحظة نفسها فتح الباب ودخل "فيرمان" يحمل خطابا وقدمه إلى سيده .
فقال مسيو "مارتان" مسترسلا في الحديث وهو يقلب الخطاب بين يديه :
- نعم .. كنت جالسا في هذا البهو حين دخل علي "فيرمان" يحمل إلي خطابا كتب عليه اسمي بخط غريب .. خط
ولكنه أمسك عن متابعة الحديث وأخذ يتامل الخطاب الذي قدمه إليه "فيرمان" منذ لحظات وهتف يقول في انزعاج !!
- يا إلهي .
فقال الدوق :
- ماذا جرى . ؟

فصاح مسيو "مارتان" وهو يقف في انفعال :
- الخط .. هذا الخطاب إنه مكتوب بنفس الخط !
وتهاوى جالسا في إعياء فوق المقعد الأثري الإمبراطوري وسمعت فرقعة عالية ثم تداعت قوائم المقعد العتيق وإذا بالمليونير قد سقط على الأرض وقد تعالت ساقاه في الهواء .
وأسرع إليه الدوق يساعده على النهوض وهو لا يستطيع أن يغالب ضحكاته إذ كانت هيئة مسيو "مارتان" مثيرة للضحك .
قال الدوق :
- ماذا تعني بقولك إن هذا الخطاب مكتوب بنفس الخط ؟
- نعم .. نفس الخط ! ومن رأى هذا الخط مرة استحال عليه أن ينساه ...
وفض الظرف وراح يقرأ الرسالة بصوت مرتفع :
"سيدي العزيز
" منذ ثلاثة أعوام بدأت أجمع مجموعة من الصور النادرة وقد ضممت إليها بعض صورك ولكن هذه المجموعة لاتزال حتى الآن ضئيلة الشأن .
ولما كنت أعلم أن لديك في قصرك في "باريس" صورا رائعة يسرني أن استولي عليها فقد عولت على ان ازورقصرك في "باريس" في صباح اليوم التالي لآخذ هذه الصور" .
فقال الدوق في هدوء :
- لاريب أنه يمزح .
فقال المليونير :
- انتظر فإن بالخطاب حاشية . وقرأها قائلا :
"حاشية : ما دمت أبقيت تاج الأميرة "دي لامبال" لديك ثلاثة أعوام ، فقد عولت على أن أنتهز هذه الفرصة أيضا لآخذ هذا التاج - أ . ل "
صاح المليونير في غضب :
- يا للشيطان ؟ ياللمجرم أوه ! إنني أختنق ، إنني اختنق !
وأسرع يفك ياقته وقد تهالك في مقعده ممتقع اللون فصاح الدوق ينادي :
- "فيرمان" إلي بقدح من الماء .. إن سيدك مريض .

وحل رباط عنق المليونير وتناول إحدى المراوح الأثرية المعلقة على الجدار وجعل يروح بها على وجه مسيو "مارتان" .

وصاح المليونير وقد استرد روعه قليلا :

- أبلغ إدارة الأمن العام . اخطر رجال الشرطة .

وأقبلت "سونيا" و "جرمين" مسرعتين إذ سمعتا نداء الدوق . فقال هذا :

- أسرعي يا "جرمين" .. إلي بالأكماح المنعشة .

وجاءت "سونيا" بزجاجة الأملاح المنعشة فاستنشق منها المليونير وقالت "جرمين" في جزع :

- ولكن ماذا جرى ؟ فأجابها الدوق :

- لقد جاء خطاب من "أرسين لوبين"

- أما أنباتك انه لابد أن يكون على مقربة من القصر ؟.

وصاح مسيو "مارتان" :

- "فيرمان" .. من الذي جاء بهذا الخطاب ؟

- لقد وجدته زوجتي في صندوق البريد عند الباب .

- يا للنكبة .. يا للكارثة .

فقال الدوق :

- تجلد يا سيدي .. إنني أعتقد أن المسالة ليست إلا مزاحا .. وهل كانت مزاحا منذ ثلاثة أعوام ؟

فنظر الدوق في الخطاب وقال :

- إنه مؤرخ بتاريخ اليوم .. و "لوبين" ينذرك بالاستيلاء على صورك غدا ، فإن كان الأمر جادا فلدينا إذن متسع من الوقت للحيلولة دون وقوع هذه السرقة . فلنتصل تليفونيا بباريس على الفور .

فقالت "سونيا" :

- اليوم الأحد والتليفون الخارجي لا يعمل يوم الأحد في مثل هذه الساعة .

فامتقع وجه المليونير وصاح :

- هذا صحيح . إذن فما العمل ؟

فقالت "جرمين" :

- فلنبعث ببرقية .

فقالت "سونيا" :

- وهذا ايضا مستحيل فمكاتب التلغراف توصد أبوابها عند الظهر .

فصاح المليونير في غضب :

- يالها من حكومة ، يالها من حكومة ! ما الذي يدعوها إلى وقف اعمال الخدمة العامة في أيام الآحاد ؟ !

وراح يجفف جبينه الذي تصبب عرقا ، فقال الدوق :

- ولكن ينبغي أن نجد مخرجا من هذه الورطة على اية حال .

- وما هذا المخرج ؟ ما هذا المخرج ؟

وساد السكوت ثم صاح الدوق "دي شارميراس" :

- لقد وجدت حلا !

- حقا ؟ وما هو ؟ تكلم .

فاخرج الدوق ساعته ونظر فيها وهو يقول :

- كم الساعة الآن ؟

اخرج المليونير ساعته ايضا وحذت "جرمين" حذوه . ولم يشأ "فيرمان" أن يكون دونهما إدراكا لخطورة الموقف فاخرج ساعته بدوره ونظر فيها وثارت مناقشة حادة بين الثلاثة وكل منهم يحاول أن يؤكد أن ساعته هي الدقيقة المضبوطة دون ساعات الآخرين .

واخيرا تدخل الدوق بينهم قائلا :

- كفى فمهما يكن من خلاف بينكم فمما لا نزاع فيه أن الساعة الآن قد تجاوزت السابعة ببضع دقائق ، فلو أني سافرت الآن إلى "باريس" لبلغتها فيما بين الساعة الثانية والثالثة بعد منتصف الليل فأبلغ البوليس بالامر ونقبض على اللصوص متلبسين .

فصاح المليونير وقد سرى عنه :

- هذا بديع .. الحق انك رجل اعمال بصدقي وسارافقك إلى باريس لا يطاوعني قلبي علي أن أظل هنا وتحفي النفيسة مستهدفة للضياع ولكن ما عسانا أن نفعل بـ "جرمين" و"سونيا" ؟ أندعهما هنا ومن المحتمل جدا أن يقتحم الشيطان هذا القصر ايضا .. لا .. فلنذهب جميعا إذن إلى "باريس" ولا ريب أن السيارتين تتسعان لنا جميعا .

فقالت "جرمين في امتعاض :

- ولكننا سنبلغ "باريس" قبل وصول الخدم فكيف يكون حالنا والخدم غائبون؟

فصاح أبوها في غيظ :

- إن تحفي أنفس من هذه الصغائر كلها يا "سونيا" .. هاتي من درج الدولاب حلقة مفاتيح قصري في "باريس" .. اسرعي وحذارأن تنسيها سأتولى أنا بنفسي قيادة إحدى السيارتين وسيقود الدوق السيارة الأخرى وليبق "جان" مع "فيرمان" لحراسة القصر . هيا أسرعوا .

الفصل السادس

لم يكد القوم يغادرون البهو ويوصدون الباب خلفهم حتى بدا في الشرفة مسيو "كاروليه" وهو ذلك الريفي الذي جاء يبتاع سيارة مسيو "مارتان" .. وكان يمشي في حذر وهو ينظر هنا وهناك كانما لا يريد أن يراه أحد .

ثم صفر في صوت خافت فظهر على الأثر أولاده الثلاثة ومعهم "جان" سائق السيارة . وقال مسيو "كاروليه" يخاطبهم :

- وزعوا أنفسكم على الأبواب .. إنهم ينوون أن يسافروا إلى "باريس" فيجب أن نعجل وإلا استقلوا السيارتين :

فقال "جان" متذمرا :

- لولا ولعه بان يخطر الناس بما ينوي أن يفعل لما وقعنا في هذه الورطة ، أكان من الضروري أن يبلغهم أنه سيسرق قصر "باريس" صباح الغد ؟

فقال مسيو "كاروليه" :

- وأي ضرر يمكن أن ينجم عن هذا الإنذار أيها الغبي ؟ إن مكاتب التليفون والتلغراف مغلقة اليوم فمن المستحيل أن يتمكنوا من الاتصال بباريس ..

وغدا سنظفر بالتاج فقد فتشت هذا القصر تفتيشا دقيقا ولا ريب عندي في أنه في قصر "باريس" .

وقام بعض الرجال عند الأبواب يرقبون أما الآخرون فمضوا يفتشون الأدراج . وقال مسيو "كاروليه" :

- ترى أي دولاب هو المقصود بين هذه الدواليب ؟ ولكن ينبغي أن نبحث عنها بعناية .

فقال "برنارد" :

- لقد وصف الدولاب بانه مطعم بالنحاس .

فصاح "كاروليه" :

- ولم لم تقل هذا من قبل أيها الأبله ؟

وسار إلى دولاب مطعم بالنحاس وعالج درجه بما لديه من أدوات فانفتح وهمس "جان" :

- أسرعوا لقد رجع مسيو "مارتان".

واختطف "كاروليه" من الدرج حلقة من المفاتيح واخرج من جيبه حلقة أخرى وضعها مكان تلك التي أخذها وصاح برفاقه :

- هيا بنا .. أسرعوا .

فانطلقوا جميعا إلي الحديقة من خلال الشرفة مسرعين وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل مسيو "جورناي مارتان" .. وفي دخوله لمح رأس مسيو "كاروليه" وهو يهبط درج الشرفة . فصرخ ينادي :

- لص ! النجدة " فيرمان" . !

وركض إلى الشرفة وفي طريقه إليها تعثر في بقايا الكرسي الأثري المحطم فسقط أرضا وتحامل على نفسه وجلس على الأرض ثم لم يستطع أن يغالب انفعاله فبدأ يبكي كالأطفال .

ولما هدأت ثائرته قليلا صاح ينادي مرة أخرى :

- "فيرمان" ! "فيرمان" ! "شارميراس" .

وسار إلى النافذة وراح يردد نداءه وفتح الباب ودخل الدوق وهو يقول في صوت هادئ :

- أكنت تنادي ؟!

- أناديك . لقد بح صوتي لكثرة النداء . لقد اقتحم اللصوص هذا البهو .. ولمحت أحدهم وهو يهرب من الشرفة .

فابتسم الدوق وقال :

- هل .. هل تسلط عليك الوهم ؟

- الوهم ؟ أؤكد لك أنني رأيت اللص كما أراك الآن .

فقال الدوق باسما :

- وأنا أؤكد لك أنك الآن لاتستطيع أن تراني ما دام هذا البهو الفسيح مضاء بمصباحين فقط .

- آه . هذه غلطة ذلك الأحمق "فيرمان" . أفي مثل هذه الليلة لا يضيء إلا مصباحين ؟ كان ينبغي أن يضيء ستة مصابيح على الأقل .

وقال الدوق :

- يحسن بنا أن نوصد النوافذ قبل رحيلنا ويجب أن نعهد إلى "فيرمان" بحراسة هذا البهو ونسلحه ببندقية محشوة فإنه إذا استطاع أن يصيب أحد اللصوص برصاص بندقيته فر الآخرون هاربين . الحق أن قلبي لا يطاوعني على أن أتركك في هذا القصر مع "جرمين" و"سونيا" لا يقوم بحراستكم إلا هذا الأبله "فيرمان" .

فقال المليونير :

- ومن أنباك بأننا سنبقى ؟ لقد كان "فيرمان" جنديا وقد اشترك في حرب السبعين وفي وسعه أن يخفر هذا القصر .. إنه شجاع لا يهاب اللصوص .

فتح باب القاعة ودخلت "جرمين" وفي أثرها "سونيا" والخادمة "إيرما" وقد ارتدين معاطف السفر . وقالت "جرمين":

- إنه لمزعج يا أبتاه أن تضطرنا إلى السفر إلى "باريس" بهذا الشكل في جوف الليل .

فقال مسيو "مارتان" :

- ابقي في هذا القصر إن شئت .

ولكن اعلمي أنني رأيت في هذا البهو لصا منذ لحظات وقد هرب من الشرفة حين رآني .

فقال الدوق في صوت جاد :

- نعم .. لقد رأى أبوك لصا وكان أسود الوجه وله عينان يتطاير منهما الشرر .

فقالت "جرمين" أسود الوجه وله عينان يتطاير .. أواه "جاك" .! ألا تنوي أن تقلع عن هذه الدعابات ؟

- ولكني لا أمزح .. إن هذا الضوء الخافت هو الذي جعل أباك يرى للص وجها أسود ولو أن الضوء كان أشد من هذا لرآه أحمر الوجه مثلا .

فقال مسيو "مارتان" في لهجة عتاب :

- يا عزيزي الدوق ..

إن هذا الهذر لا يليق بمن سيحلي صدره وسام اللجيون "دونير" ومن سيصبح عاجلا عضوا في المجمع العلمي .

إنني أؤكد أنني رأيت لصا في هذا البهو .

فقال الدوق متهكما :

- هل تراني أنكر عليك مـا رأيت ؟ لقـد كنت منذ لحظة أصف لـ "جرمين" وجه هذا اللص

فصاحت الفتاة :

- كفى مزاحا إنه مزاح سخيف .

وقال و الد. .

- وليس هذا او ان المزاح على أية حـال .تحفي النادرة وتاج الأميـرة "دي لامبال" في خطر وأنت تمزح يا عزيزي الدوق ؟ هذا كثير .

فنظر الدوق إلى "سونيا" وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال:

- إذن ينبغي أن أعترف بذنبي . نعم . إنني مخطئ وصاح مسيو "مارتان" .

- "سونيا" .. أين المفاتيح ؟

وسارت الفتاة إلى الدولاب ولكنها حين رأت القفل مهشما صاحت :

- رباه . إن القفل محطم .

فصاح المليونير في لهجة تدل على الانتصار :

- أصدقت الآن يا عزيزي الدوق أنني رأيت لصا في البهو ؟ لا ريب أنه كان يسعى إلى سرقة المفاتيح .

وفتحت "سونيا" الدرج وهتفت :

- ولكن المفاتيح موجودة وغاب عنها أن اللصوص أبدلوا بالمفاتيح سواها . وقال المليونير :

- لو أني لم أباغتهم في الوقت المناسب لظفروا بالمفاتيح . أرأيت يا عزيزي الدوق أنني لم أكن واهما أو مخدوعا فقال الدوق باسما :

- إنني الآن أسحب ما قلت وأشهد شهادة الحق بأنك رأيت لصا في هذا البهو ولكني مازلت مصرا على أنه كان أسود الوجه يتطاير الشرر من عينيه من فضلك أعطيني المفاتيح يا آنسة "سونيا" مادمت سأبلغ "باريس" قبلكم .

وعندما تناول منها المفاتيح ضغط يدها في رفق فتضرج وجهها احمرارا ولم يفطن أحد إلى ما حدث إذ كان الضوء خافتا .

غادر المليونير القاعة ليرتدي معطفه . وبغتة بدأت السماء تمطر فقالت "جرمين" ساخطة :

- كأنما لا تكفينا متاعبنا حتى تمطر السماء ؟!

أما الدوق فقد أشعل سيجارة وراح يدخن ثم رمى السيجارة فجأة وصاح في مزاح :

- رباه . كيف لم يخطر لي هذا من قبل ، كيف تصبر على البقاء في هذا البهو المظلم ؟

وراح يشعل عشرات المصابيح الأثرية الموجودة بالقاعة وجعلت "جرمين" تنظر إليه في استغراب وامتعاض أما "سونيا" فكانت تنظر إليه باسمة وقد سرتها منه هذه الروح المرحة الطروب .

وأخيرا جاء مسيو "مارتان" فلما رأى جميع المصابيح مضاءة صاح :

- ما هذا البترول . البترول .يا عزيزي الدوق ، أم لعلك تريد مني أن أنفق كل ثروتي في شراء البترول ؟

فقال الدوق دون أن يحفل بالإجابة :

- ما أشد كسل "جان" لقد أبطأ في إعداد السيارتين . هيا بنا إليه .

وتأبط ذراع المليونير وغادر القاعة فلما صارا عند الباب الخارجي قال الدوق :

- والآن هيا ازعق وناد "جان" .

فقال مسيو "مارتان" في استغراب :

- ولم لا تناديه أنت ؟

فضحك الدوق وأجاب :

- لأن لك حنجرة قوية لا نظير لها وقد فتنني صوتك حين رأيت اللص وزعقت تدعوني أنا و "فيرمان" .. هيا ازعق .. ازعق .

وأخذ المليونير يزعق مناديا سائق سيارته "جان" .

الفصل السابع

كان صوت المليونير يدوي وهو ينادي "جان" و "فيرمان" ولكن احدا لم يبادر إلى تلبية ندائه . فقال الدوق في دهشة :

- هذا عجيب . اين ذهب هذان الأحمقان ؟! فلنذهب إليهما إذن.

فقال مسيو "مارتان" في تردد :.

- أتذهب إليهما في هذه الظلمة السائدة والقصر مكتظ باللصوص ؟

- وهبنا لم نذهب . فهل لديك من نوفده مكاننا ؟

ولا تنس أن كل لحظة تمر يستفيد منها أولئك اللصوص الذين سيهاجمون قصرك في "باريس" .

تابط ذراع المليونير وجره جرا صوب الجراج وحين بلغاه تسمر الدوق مكانه وقد نمت اسارير وجهه عن الدهشة.

لم يكن في الجراج إلا سيارة واحدة بدلا من السيارات الثلاث ومن العجب أن هذه السيارة كانت هي القديمة التي أراد مسيو "مارتان" أن يبَيعها إلى "كاروليه" .. وكان "جان" و"فيرمان" جالسين على مقعد السيارة جامدين كانهما تمثالان من الحجر .

وصاح بهما مسيو "مارتان" :

- تحركا .. هل أنتما تمثالان من الحجر .

ولكنهما لم يتحركا ولم ينطقا بكلمة واحدة . وحمل الدوق مصباحا واقترب منهما ثم مالبث أن صاح :

- إنهما مكممان مشدودا الوثاق .

- ماذا تقول ؟

و أخرج الدوق مدية من جيبه فقطع القيود وازاح الكمامتين . فصاح "فيرمان" :

- إنه "كاروليه" ! عليه اللعنة !

وقال "جان" معززا :

- لقد هاجمنا من الوراء هو وابناه وصرعونا أرضا .

وقال "فيرمان" :

- ثم قيدونا وكممونا .

وقال "جان" :

- ثم سرقوا السيارتين وفروا هاربين .

وقهقه الدوق بملء صوته وقال :

- إذن فلم يكن صديقك "لوبين" بالرجل الذي يمزح . لقد سرق السيارتين حتى يحول دوننا ومفاجاته متلبسا في قصر "باريس" ما الطف هذه القصة !!

فصاح المليونير وقد كادت الصدمة تفقده الرشد :

- ما الطف هذه القصة ؟! إذن فانت تراها قصة لطيفة أن تحفي ونفائسي تكاد تسرق .

فامسك الدوق عن الضحك وقال :

- ينبغي أن نسلك طريقا آخر .. سأذهب وحدي إلى "باريس" في هذه السيارة العتيقة .

- ولكنها قديمة لا تصلح للرحلات الطويلة .

- ولو . إن هذا لن يقعدني .. يجب أن أصل إلى "باريس" بطريقة ما والمسافة لا تزيد على ثلثمائة كيلو على اية حال ولكن ما يكون من شانكم انتم ؟ إنني لا أحب أن ادعكم وحدكم في القصر وقد يهاجمه اللصوص بين لحظة واخرى .

فصاح مسيو "مارتان" :

- ومن قال لك: إننا سنبقى ؟إننا سنسافر إلى "باريس" بالقطار .

- ولكنها تكون رحلة مضنية قاسية .

- فليكن فلنسرع .

رجعا إلى القصر وروى مسيو "مارتان" لابنته نبا ما حدث فثارت ثائرتها وراحت تعترض على فكرة السفر بالقطار وقسوتها إذ كيف تطيق البقاء في القطار عشر ساعات .

ولما سكن روعها قالت "سونيا" :

- وهل هناك قطار الآن ؟

فصاح المليونير :

- اين جدول المواعيد ؟! أين الجدول .

فقال الدوق :
- إني اعتقد ان هناك جدولا في هذا الدرج .
وأخرج جدولا من احد الادراج وقدمه إلى مسيو "مارتان" فجعل هذا يتصفحه ثم قال :
- نعم .. يوجد قطار الآن في الساعة التاسعة تماما فلنسرع إذن وإلا فإننا ..
فقالت "جرمين" .
- ولكن كيف نذهب إلى المحطة مادام الدوق سيستقل السيارة ؟
فقال "فيرمان" :
- إن مركبة النقل التي تحمل الحقائب مازالت موجودة .
فصاحت "جرمين" في استخفاف :
- مركبة النقل ؟ اتريدون مني أن أستقل مركبة نقل ؟! هذا جميل جدا.
فقاطعها ابوها بقوله :
- ليس لدينا الآن سواها فلا حيلة لنا في الأمر وساتولى قيادتها بنفسي هيا يا "فيرمان" شد الجواد إليها .
وفي هذه اللحظة سال الدوق عن الوقت . فكان من حسن الحظ أن "فيرمان" ليس موجودا . ولهذا اقتصر الخلاف على "جرمين" وابيها . واخذ كل منهما يؤكد أن ساعته هي المضبوطة . فلو أن "فيرمان" كان موجودا ايضا لبلغ الخلاف أشده لأن ساعته لا تتفق مع ساعتيهما .
أخيرا قال الدوق :
- إنني منصرف . وأعتقد أنكم ستبلغون المحطة بعد نصف ساعة .
ونادته "جرمين" قائلة :
- ولكن خبرني . إني أكاد أموت جوعا فهل في القطار مركبة للطعام ؟
فقال أبوها :
- لا أعلم ويحسن بنا ان نحمل معنا شيئا من الطعام .
فصاحت "جرمين" :
- "سونيا" ، "فيرمان" ، "إيرما" .! أعدوا لنا شيئا من الطعام .
وإذ مرت "سونيا" بجوار الدوق همست في صوت منخفض :
- كن حريصا ولا تستهدف للأخطار . إنني لا أحب لك أن تذهب إلى

"باريس" في مثل هذه الليلة الممطرة العاصفة .

فقال الدوق باسما :

- ساكون حريصا .

وبعد لحظات كان في طريقه إلى "باريس" ، والسيارة تطوي به الأرض طيا .

دخل السائق "جان" وقال :

- لقد أمرني سيدي الدوق بأن ألزم القصر لأساعد "فيرمان" في حراسته .

وراح المليونير يلقي إليهما تعليماته . فعهد إلى "فيرمان" بحراسة البهو لأنه جندي قديم والبهو في رأيه هو مبدأ الهجوم . وعهد إلى "جان" بحراسة قاعة الاستقبال المتصلة بالبهو ولا سبيل للصعود إليها إلا إذا عبروا البهو أولا .

ثم قدم مسيو "مارتان" إلى كل منهما بندقية محشوة وقال يخاطب "فيرمان" :

- إنني أعتمد عليك ولقد أقمتك في موقف الخطر والشرف . موقف يفتن الجندي الفرنسي الشجاع وأنت جندي شجاع .

ورفع "فيرمان" رأسه في أنفة وكبرياء . وقال مسيو "مارتان" مسترسلا :

- إنها مهمة خطيرة . فقد تواجه وحدك عشرات من اللصوص المسلحين .

فقال "فيرمان" في فخار :

- وإني أهل للمهمة يا سيدي فكن مطمئنا لقد اشتركت في حرب السبعين ومن كان مثلي لا يمكن أن يهاب شيئا .

- حسنا . إني مطمئن إلي أن تحفي ونفائسي الموجودة في هذا القصر ستكون بين يديك في أمان . والآن فلنسرع إلى المحطة وإلا فاتنا القطار .

جلس المليونير في مقعد السائق من مركبة النقل وجلست "جرمين" وراءه وهي تدمدم غاضبة . ورفع المليونير سوطه وهوى به على ظهر الجواد فوثب دفعة واحدة حتى كاد يخلع أجسادهم خلعا . وراحت

المركبة تميل يمينا وشمالا فوق الطريق الحجري وتخض منهم الأجسام خضا شديدا .

التفت "فيرمان" إلى "جان" وقال في أسى :

- إنها مهمة مزعجة . إن اللصوص قوم لا يترددون في شيء . وما يدريني قد يقطعون أعناقنا .

فقال "جان" :

- وما العمل ؟ لا مفر لنا من أداء هذه المهمة ومع ذلك فإنني غير مستهدف للخطر مثلك فإنهم لن يبلغوا قاعة الاستقبال حتى يقطعوا عنقك . إنك يا صديقي في موقف الشرف والخطر .

فصاح "فيرمان" .

- ألا تبا لهذا الشرف .

قال "جان" :

- وساوصد الباب الذي بيني وبينك .

فصاح الرجل الذي اشترك في حرب السبعين :

- كلا محال أن أسمح لك بأن توصده .

- بل ساوصده بلا ريب .

ثم دخلا إلى القصر وأتى "جان" بمجموعة من الصحف ومضى إلى قاعة الاستقبال وهو يقول :

- ساظل أقرأ حتى يغلبني النوم ، وأوصيك يا صديقي بأن تظل ساهرا طول الليل وإلا باغتك اللصوص وقطعوا عنقك وإياك أن تتردد في إطلاق النار عندما تلمح شبحا . والآن طاب مساؤك .

ودخل إلى قاعة الاستقبال وأوصد الباب خلفه بالمفاتيح وقد ترك "فيرمان" وحده في البهو .

وحين وجد "فيرمان" نفسه وحيدا في هذا البهو فسيح الأرجاء بدأ الخوف يتسرب إلى نفسه ونمت نظراته عن الذعر وما لبث إلا لحظات حتى أسرع إلى المطبخ .. وكانت زوجته هناك في انتظاره فقال لها :

- من الغريب أنني لم أعرف للخوف طعما منذ حرب السبعين إلا اليوم .

ومسح جبينه الذي كان يتصبب عرقا .

فقالت زوجته :
- ومم تخاف ؟
- مم أخاف ؟ من اللصوص . اللصوص الذين يقطعون الاعناق.
وقص عليها ما حدث وكيف أن مسيو "مارتان" عهد إليه بموقف الشرف والخطر ، فصاحت في انزعاج :
- الا سحقا لموقف الشرف والخطر ، اغلق باب البهو بالمفتاح وتعال إلى المطبخ فإن من المؤكد أن اللصوص لن يهاجموا المطبخ مطلقا . الا فليحفظنا الله .
- ولكن تحف سيدي ونفائسه ؟
- تبا لها ! وهبهم قطعوا عنقك ، فهل تعيد إليك الحياة هذه التحف ؟ هيا أسرع وعد إلي .
وحين رجع "فيرمان" إلى زوجته وجدها قد أعدت له طعاما شهيا فراح يلتهمه وهو يرهف السمع من حين لآخر كانما يتوقع ان يسمع للصوص جلبة وهم يسطون على القصر .
ولما فرغ من الطعام أخذ يعب الشراب كاسا بعد كاس فالهب الشراب دماءه وأثار في نفسه ما خمد من شجاعته فراح يتحدث عن الواجب وكيف أنه لن يتردد لحظة واحدة في أن يبذل دمه فداء مولاه وأن اللصوص إذا حضروا وجدوه على استعداد لمنازلتهم ، وكيف انه سيهاجمهم بمفرده حتى وإن كانوا عشرات ويقتلهم واحدا بعد واحد .
وبينما هو ماض في هذا الحديث إذا بطرقات عنيفة فجائية تنهال على الباب الخارجي للقصر فاجفل وجمد في مكانه كالتمثال وقد اتسعت حدقتاه رعبا أما زوجته فقفزت إلى باب المطبخ فاوصدته بالمفتاح ثم ارتدت إلى زوجها فانكمشت إلى جواره وهي ترتعد .
وظل الطرق مستمرا على الباب الخارجي مصحوبا باصوات صاخبة تنادي .
وبعد خمس دقائق قالت زوجة "فيرمان" في تردد :
- ماذا ؟ يخيل إلي أن هذا صوت مسيو "مارتان" !
- نعم ، إنه صوت سيدك .
وجعل الاثنان ينصتان ثم صاح "فيرمان" :

- يا إلهي .
- نعم . إنه صوته وهو بعينه ..
وقفز واقفا وحمل بندقيته وغادر المطبخ وهو يجري صوب الباب الخارجي وإذ فتحه رأى نفسه وجها لوجه أمام سيده و "جرمين" و"سونيا" و "إيرما" .
وصاح به مسيو "مارتان" ثائرا :
- تبا لك ! أين كنت ؟ أتدعني ساعة على قارعة الطريق والمطر ينهمر فوق راسي ؟
فقال "فيرمان" في ارتباك :
- اللصوص . لقد ظننت أنكم انتم اللصوص .
- وهل تراني اشبه اللصوص أيها الأحمق ؟
ودفعه من طريقه في غضب ودخل القصر .
وقالت "جرمين" في تذمر :
- كان ينبغي قبل أن تحملنا مشاق هذه الرحلة أن تتأكد ما إذا كان هناك قطار في الساعة التاسعة أم لا ؟
فقال أبوها :
- كيف كان لي أن أعرف أن بجدول المواعيد خطا ؟!
أين هو هذا الجدول اللعين ؟
وتناول الجدول ونظر فيه ثم صاح :
- تبا ! إن هذا الجدول خاص بسنة ١٩٠٣ ولقد مضت عليه ثلاث سنوات .
فصاحت "جرمين" في غضب :
- هذا بلا ريب مزاح سخيف من "جاك" ! يقدم إلينا متعمدا جدولا قديما و يـ عل ا نذهب إلى المحطة في هذا المطر الشديد .
وحانت منها التفاتة إلى أحد دواليب الكتب وهتفت :
- رباه ! لقد نسيت العقد اللؤلؤي الذي أهداه لي "جاك" اليوم .
وأسرعت تتناول العلبة ولكنها ما لبثت أن صاحت .
- عجبا إن العلبة فارغة .
فصاح أبوها :

- إذن فقد سرق العقد ؟!

فقالت "جرمين" :

- لا أظن ذلك بل يغلب على ظني أن "جاك" أخذه معه عند سفره إلى "باريس" .

الفصل الثامن

كان رجال الشرطة جالسين على مقاعدهم في كسل وتراخ وقد كاد النعاس يغلبهم لكنهم استفاقوا حين سمعوا دوي سيارة تقف بباب المخفر .

ونظر المفتش إلى القادم مستفسرا فقال هذا :

- إنني الدوق "دي شارميراس" صهر مسيو "جورناي مارتان" لقد تلقى مسيو "مارتان" بالأمس رسالة من اللص الشهير "ارسين لوبين" ينذره فيها بانه سيسطو على قصره في صباح اليوم .

وما إن سمع المفتش اسم "لوبين" حتى هب واقفا وقد تجلى الاهتمام في عينيه وقال :

- وأين هذه الرسالة يا سيدي ؟

فناول الدوق الرسالة إلى المفتش الذي نظر فيها ثم قال :

- حقا إن هذا هو خطه المعروف لنا .

فقال الدوق :

- إن الوقت ضيق جدا وكان ينبغي ان اصل قبل ذلك ولكن السيارة قديمة لا تصلح للرحلات الطويلة وقد اصيبت بعطب في الطريق .

فقال المفتش :

- هيا بنا إذن يا سيدي .

و أمر اثنين من رجاله بمرافقته .

ولما بلغوا القصر أخرج الدوق من جيبه حلقة المفاتيح ودس المفتاح ذا الشعب وأداره ولكن الباب لم ينفتح وراح يجرب المفاتيح واحدا بعد واحد ولكن بلا جدوى .

وقال المفتش :

- دعني أجرب حظي يا سيدي الدوق .

ولكنها كانت تجربة مخفقة ، فقال الدوق :

- إذن فقد أخطئوا وأعطوني حلقة اخرى . ولكنه ما لبث أن قال مستدركا :

- ولكن لا . إن هذه المفاتيح قد ابدلت .

فقال المفتش في استغراب :

- أبدلت ؟ كيف ؟ .

- نعم .. فقد رأى مسيو "مارتان" بالأمس لصا يفر هاربا من شرفة البهو في قصره الريفي وقد وجدنا الدرج الذي به هذه المفاتيح محطما فلا شك أن هذا اللص سرق المفاتيح الحقيقية ووضع هذه الحلقة تضليلا لنا .

فقال المفتش لأحد رجاله :

- اذهب وانظر إلى الباب الخلفي .

وعاد الرجل يقول : إن الباب الخلفي موصد أيضا .

وراح المفتش يطرق الباب في عنف دون أن يلبي نداءه أحد .

وقال المفتش في استغراب :

- هذا عجيب . أليس للقصر بواب ؟

- إن له بوابا وهناك أيضا خادمة عجوز تدعى "فيكتوار" فارجو الا يكون اللصوص قد فتكوا بها .

فهز المفتش رأسه نفيا وقال :

- لا . إن "أرسين لوبين" لا يسفك الدماء فإنه يمقت العنف .

- الا ترى انه يحسن بنا أن نقتحم الباب ؟

- الا يغضب تحطيم الباب مسيو "مارتان" ؟

فقال الدوق :

- إنني أتحمل المسؤولية وحدي .

- فليكن إذن .

ومضى أحد رجال الشرطة يدعو نجارا . فحص النجار الباب برهة ثم قال :

- إن تحطيم هذا القفل المتين يستغرق ساعة على الأقل ولكن في وسعي أن أنشر الخشب حول القفل وأنزعه من موضعه ، وهذه عملية سهلة لا تستغرق غير دقائق قليلة ولكنها ستشوه الباب بالتأكيد .

فقال الدوق :

- بل انشر الباب فإن الوقت ضيق ونحن نريد أن نكسب وقتا .

ولم تمض لحظات حتى كان الباب مفتوحا . ودخل المفتش القصر وهو شاهر مسدسه وفي أثره الدوق والشرطيان . وكانت النوافذ موصدة فاسرع احد الشرطة وفتحها فغمر النور المكان .

وأشار المفتش إلي غرفة البواب وقال لأحد رجاله :

- انظر ماذا حل بالبواب ؟

وعاد الرجل يقول :

- إنه مكمم مشدود الوثاق وكذلك زوجته .

فقال الدوق :

- إن "لوبين" ينوي أن يسطو على القاعات الواقعة في الطابق الأول لأنها هي التي تضم التحف التي ينوي أن يسرقها ، فلنسرع إليها فإنه من المحتمل أن يكون اللصوص هناك .

وصعدوا راكضين إلي الطابق الأول . ودفع الدوق باب قاعة الاستقبال ثم وقف مكانه جامدا وقد أدرك انه وصل بعد فوات الوقت .

كانت القاعة عارية الجدران من الصور والسجاجيد الأثرية وكانت النافذة مفتوحة وقد تهشم أحد الواحها الزجاجية ، وكان هناك سلم خشبي مسند إلى النافذة من الخارج وكانت هناك منضدة اثرية موضوعة بالقرب من هذه النافذة وقد برزت حافتها إلى الخارج .

وكانت هناك في ركن القاعة مدفأة كبيرة مقامة من الجدار نفسه وأمامها حاجز للنار مصنوع من الحديد المبطن بمواد عازلة للحرارة وكانت المقاعد موضوعة أمام هذا الحاجز في شبه دائرة وقد شدت بالحبال استعدادا لنقلها .

أسرع الدوق والمفتش يطلان من النافذة فالفيا الحديقة خالية ورأيا في طرفها الأقصى وخارج السياج "سقالات" خشبية مقامة في البيت المجاور الذي كان أصحابه شارعين في بنائه وإصلاحه.

وادرك الدوق أن اللصوص دخلوا إلى القصر من فجوة في سياج الحديقة عند الجزء الملاصق للبيت الذي لم يتم بناؤه بعد ، وتحول الدوق عن النافذة ونظر إلى الجدار حيث كانت إحدى الصور المسروقة وهتف :

- انظر . انظر .

فقد كان اسم "أرسين لوبين" مكتوبا على الجدار .

وقال المفتش :

- ينبغي أن ندعو مسيو "جوشار" فهو الذي يستطيع أن يتولى التحقيق في هذه القضية .

ومضى إلى مقصورة التليفون و اما الدوق فدخل قاعة الاستقبال الصغرى فالفاها هي أيضا كانت فريسة للصوص إذ لم يكن فيها إلا توقيع "لوبين" ظاهرا على الجدران حيث انتزعت الصور والسجاجيد الأثرية .

رجع المفتش بعد لحظات ومضى يفتش الغرف بحثا عن آثار تفيد التحقيق فلم يجد حتى بصمات الأصابع ..

فقال في يأس :

- والآن بنبغي أن نبحث عن الخادمة "فيكتوار" .. ولا يبعد أنها مازالت مستغرقة في النوم لا تدري بشيء مما وقع .

ولكنهم لم يجدوا "فيكتوار" في غرفة الخدم ولافي أية غرفة اخرى

فقال الدوق :

- غريب جدا .. أين ذهبت يا ترى ؟

فقال المفتش :

- لا ريب أنها شريكة اللصوص وقد رافقتهم عند فرارهم .

فقال الدوق :

- لا أظن هذا فإن مسيو "مارتان" شديد الثقة بها .

- إذن فقد كان مخدوعا في ثقته بها .

ولما أزيلت الكمامتان عن فم البواب وزوجته قال هذا إن اللصوص باغتوه فشدوا وثاقه ، ولما سئل عن "فيكتوار" قال إنه لا يعلم من أمرها شيئا .

وقال المفتش :

- سأتصل الآن بمدير الأمن العام .

فقال الدوق :

- واساله أن يبعث إلينا بـ "جوشار" .

- ولكن قاضي التحقيق مسيو "فورمري" لا يحب "جوشار" .

- ومن يكون مسيو "فورمري" هذا ؟ إنني لم أسمع اسمه إلا اليوم ! أتراه كفئا ؟

- نعم . إنه كفء جدا.

فقال الدوق :

- ولكن لا مفر من أن ندعو "جوشار" فبهذا أوصاني مسيو "مارتان" ، إذ إنه يعتقد أن "جوشار" هو أصلح من يتولى منازلة "أرسين لوبين" .

وراح المفتش يتحدث تليفونيا إلى مدير الأمن العام .ويروي له تفاصيل ما حدث . وأخيرا تدخل الدوق في الأمر وقال:

- إنني أحب أن أتحدث إليه بنفسي .

ثم تناول السماعة وقال يخاطب مدير الأمن العام :

- إنني الدوق "دي شارميراس" وقد عهد إلي مسيو ""مارتان"أن أرجوك تكليف "جوشار" بتحقيق هذه القضية .

فوعده المدير بذلك .والتفت الدوق إلى المفتش وقال :

- ومتى يحضر مسيو "فورمري" قاضي التحقيق ؟

- بعد ساعة .. فور فراغه من تناول الفطور .

فقال الدوق باسما :

- الفطور ؟والله لقد نسيت أنني لم أتناول طعاما منذ ليلة الأمس.

وأمر البواب بأن يبتاع له شيئا من الطعام ثم مضى إلى قاعة الاستقبال وتهالك على أحد المقاعد وراح يدخن صامتا .

وبعد فترة من الوقت سمع نقرا على الباب وصوت المفتش وهو يقول:

- لقد جاء مسيو "فورمري" يا سيدي الدوق .

الفصل التاسع

دخل مسيو "فورمري" يتبعه مفتش البوليس الذي قام بواجب التعارف . وقال القاضي :

– يسرني أن أتعرف بسموك وإن كان هذا التعارف قد تم في ظروف مزعجة .

وحنى الدوق رأسه وردد بعض كلمات المجاملة .

وقال الدوق في نفسه : "ليت شعري كيف يفلح هذا في اقتناص "لوبين" إذا كان "جوشار" قد أخفق وهو المعروف بالذكاء .

وقال قاضي التحقيق :

– أهنا مكان الجريمة ؟

فأجابه المفتش :

– نعم يا سيدي إلا إذا كانت قد وقعت سرقات أخرى لا نعرفها.

ولكننا سنتبين الحقيقة من مسيو "مارتان" عند قدومه .

فقال الدوق باسما :

– إني أخشى أن يكون مسيو "مارتان" عند قدومه في حالة لن يتمكن معها من الإدلاء بأي بيان فقد كان وهو في قصر "دي شارميراس" أشبه بالمجانين ، ولكن في وسعي أن أقرر مبدئيا أن السرقة وقعت في هاتين الغرفتين إذ كان مسيو "مارتان" يودعهما مجموعة نادرة من التحف .

فقال القاضي :

– أرجو ألا تكونوا قد لمستم شيئا أو غيرتم موضع شيء حتى لا تضيع آثار اللصوص .

– لا يا سيدي، إن كل شيء على حاله .

وراح المفتش يروي للقاضي تفاصيل ما حدث فقال هذا :

– من المحتمل جدا أن البواب وزوجته و "فيكتوار" شركاء اللصوص .

فقال الدوق متسائلا :

– وهل من عادة "ارسين" أن يتخذ شركاء ؟ معذرة عن جهلي فقد أمضيت سبعة أعوام في القطب الجنوبي .

فقال مسيو "فورمري" في استغراب :

- "لوبين" ؟ وما شان "لوبين" بهذه السرقة ؟

- لقد بعث إلى مسيو "مارتان" برسالة ينذره فيها بهذه السرقة وعقب وصول الإنذار سرقت سيارتان من جراج قصر "دي شارميراس" .. وهذه توقيعاته على الجدران .

فقال مسيو "فورمري" في ازدراء :

- "لوبين" .. "لوبين" ! دائما "لوبين" . كل سرقة تقع ينسبها الناس إلى "لوبين" ، ماذا ؟ أليس في هذه الدنيا لص غير "لوبين"؟ وهذه الإمضاءات لم لاتكون مزورة ؟

فقال الدوق :

- ترى هل يشاطرك "جوشار" هذا الراي ؟

- "جوشار" ؟ إنه لايفهم شيئا .. وشبح "لوبين" دائما ماثل أمام عينيه ولكننا لن نستعين بـ "جوشار" .

- ولكن مسيو "مارتان" الح في دعوته و قد اتصلت به تليفونيا ودعوته .

فهز مسيو "فورمري" كتفيه وقال :

- هه . مادمت قد دعوته فقد انتهى الأمر . ومع ذلك فما كانت هناك ضرورة تدعو إلى الاستعانة به على الإطلاق .

وراح مسيو "فورمري" يدير بصره في القاعه وهو يقول :

"أرسين لوبين" ؟ هذه أوهام . إن "لوبين" ليس بالرجل الذي يترك وراءه أثرا . والقاعة كما أرى مكتظة بالآثار .

فقال المفتش موافقا :

- إن السرقة تبدو في نظري عادية و "لوبين" لايقدم على مثل هذا النوع من السرقات .

بالتاكيد .. إنها سرقة عادية تجردت من الإبهام والغموض . لقد دخل اللصوص إلى القاعة من هذه النافذة بواسطة هذا السلم ثم رجعوا بنفس الطريقة .

ورأى خزانة كبيرة في ركن القاعة فاقترب منها وأدار مقبضها ولكنها لم تفتح فقال :

- إنهم إذن لم يقربوا هذه الخزانة .

فقال الدوق :

- هذا من حسن الحظ لأن تاج الأميرة "دي لامبال" مودع في هذه الخزانة كما أعتقد .

- ولكن كيف لم يمسسها مع أنه قرر في خطابه سرقة التاج ؟

قال الدوق :

- هذا صحيح .. فقد أنذر مسيو "مارتان" بانه سيسرق التاج .

فابتسم قاضي التحقيق وقال :

- أرأيت إذن ؟ هذا دليل جديد على أنه لا دخل لـ "ارسين لوبين" في هذه السرقة .

فهو إن توعد نفذ وعيده ولكن من الذي يقوم على حراسة هذا البيت ؟

فقال المفتش مجيبا :

- البواب وزوجته وامرأة عجوز تدعى "فيكتوار" . وقد أمرت أحد رجالي بإحضار الملفات الخاصة بهم .

- وهل وجدتهم مكممين موثقين عند قدومك ؟

- نعم . عدا "فيكتوار" التي لم نعثر عليها حتى الآن .

وكانت الحبال زرقاء والكمامة صفراء . أي نفس الألوان التي اعتاد "لوبين" أن يستعملها .

- ولكن كيف لم تعثروا على "فيكتوار" ؟

- لقد فتشنا البيت تفتيشا دقيقا فلم نقع لها على أثر .

فانفرجت أسارير "فورمري" وقال :

- عظيم جدا . إذن فهي شريكة اللصوص ، ومادمنا قد اهتدينا إلى أحد الشركاء فقد هانت مهمتنا وسهل الاهتداء إلى الباقين .

فقال الدوق :

- ولكن مسيو "مارتان" يثق بهذه الخادمة "فيكتوار" ثقة مطلقة غير محدودة وقد كانت الجواهر وهدايا العرس في حراستها .

- وأين هي هذه الهدايا والجواهر ؟ هل سرقت هي أيضا ؟

- إذا كان اللصوص لم يسطوا إلا على هاتين القاعتين فلاشك إذن أن الجواهر باقية لم يقربها أحد .

- هذا غريب جدا . ولكن هل فتشتم جميع الغرف ؟
- نعم ،ومع ذلك لم نعثر لها على أثر .
- ألم تعثروا على ثياب ممزقة أو بقع من الدم ؟
- نعم .. لم نجد شيئا من هذا قط .
- غريب جدا ، وهل كان فراشها منسقا ؟
- كان فراشها مشوشا ولكني وجدت ثيابها كاملة لا ينقص منها شيء إذ ظننت أن من المحتمل أنها فرت .
فبانت امارات التفكير في وجه مسيو "فورمري" وقال :
- غريب جدا . إن الأمر يبدو معقدا غامضا .
فقال الدوق :
- ربما استطاع "جوشار" أن يجلو هذا الغموض .
فقطب مسيو "فورمري" جبينه وقال :
- نعم . ربما .
وإنني لا أغمط "جوشار" حقه من الذكاء ولكنه منذ صار يعتقد أن لـ "أرسين لوبين" يدا في كل حادث أصبح رجلا لا نفع فيه .
إن هذا الوهم السخيف يجعله يتخبط في استنتاجاته وأرائه ويضله كثيرا عن الحقيقة .
ورأى الدوق كتابا ملقى على الأرض فهم بان يرفعه ولكن مسيو "فورمري" ابتدره بقوله :
- أرجوك أن تدعه مكانه فقد تفسد برفعه - أثرا مهما .
وغمغم الدوق يقول :
- غريب جدا ؟
- ما هذا الشيء الغريب ؟!
- إن تحت الكتاب أثر قدم .
فأزاح مسيو "فورمري" الكتاب ورأى الأثر جليا فقال :
- هذا الأثر ملوث بما يشبه الجير ، فمن أين جاء هذا الجير ؟
فقال الدوق :
- ألا يجوز أن اللصوص أتوا من الحديقة ؟
فقال قاضي التحقيق :

- وهل في ذلك ريب ؟ لقد جاءوا بالتاكيد من الحديقة ، وفي اقصى الحديقة منزل جديد لم يكمل بناؤه بعد .

فقال مسيو "فورمري" :

- هذا صحيح . إذن فقد مر اللصوص من هذه البناية فتلوثت أحذيتهم بالجير وعند انصرافهم أزالو آثار أقدامهم ولكن اتفق أن سقط الكتاب فوق هذا الأثر فأخفاه عن عيونهم فظل مكانه لم يمسح ..!

آه .. عظيم جداً .! هذا دليل جديد يؤيد نظريتي في أنهم دخلوا القاعة بواسطة السلم المسند إلى هذه النافذة . وهذا هو التفسير الوحيد لوجود السلم مسندا إلى النافذة ولوجود المنضدة إلى جوار النافذة وحافتها بارزة منها أرجوك أن تأخذ مقاسات هذا الأثر يا حضرة المفتش ولا ريب عندي في أننا سنجد آثارا أخرى متشابهة في الجير الموجود في العمارة .

ودخل أحد رجال الشرطة يقول :

- لقد وصل الخدم يا سيدي الدوق قادمين من "دي شارميراس".

فقال قاضي التحقيق :

- فلينتظروا في جناح الخدم ثم التفت إلى الدوق وقال :

- أرجوك يا سيدي الدوق أن تروي لي حادث سرقة السيارتين .

فقال الدوق :

- بعد أن وصلتنا رسالة "ارسين لوبين" قررنا أن نسافر إلى باريس بالسيارات لنحول دون وقوع السرقة ولكننا وجدنا الخادم وحارس الصيد مكممين موثقين في الجراج ولم نجد أثرا للسيارتين السريعتين اللتين كنا نعتمد عليهما إذ لم يترك لنا اللصوص سوى السيارة القديمة.

- هذا شيء له خطورة ولكن .. ألم يسرق شيء آخر عدا السيارتين ؟ ألم تقع سرقات أخرى ؟

فتردد الدوق هنيهة ثم قال :

- وقعت سرقة أخرى أو بعبارة أصح وقعت محاولة للسرقة .

وحدثه بما كان من زيارة "كاروليه" وابنه للقصر و كيف حاول سرقة العقد اللؤلؤي لولا أن ضبطه الدوق متلبسا .

وفرك مسيو "فورمري" كفيه فرحا وهتف :
- عظيم جدا ! إذن لقد عرفنا أحد أفراد العصابة ..
ولابد لي من استجوابه .
فقال الدوق :
-أخشى أن يكون هذا الاستجواب مستحيلا .
- مستحيلا ؟ ولماذا .؟ هل هرب من البوليس ؟
- لا ولكني لم أسلمه قط إلى البوليس .
فصاح مسيو "فورمري" في حدة :
- كيف هذا ؟ هل أطلقت سراحه ؟
- نعم .. كان المسكين شديد الهلع وأخذ يتوسل إلي أن اصفح عنه فاشفقت عليه واخليت سبيله وقنعت من الأمر باستعادة العقد.
فصاح مسيو "فورمري" :
- وواجبك نحو الهيئة الاجتماعية يا سيدي ؟ وراح يتمشى في ارجاء الغرفة وقد لاحت عليه امارات التفكير ثم قال بغتة :
- لا ريب أن هناك علاقة قوية بين السرقة التي وقعت في هذا القصر و السرقة التي وقعت في قصر "شارميراس" .
وهز المفتش رأسه إعجابا بما أبدى قاضي التحقيق من براعة في الاستنتاج أما الدوق فارتسمت على شفتيه ابتسامة استخفاف إذ كان هذا الاستنتاج من البديهيات الواضحة .
وقال القاضي بعد فترة من السكوت :
- لقد بدات الأمور تتجلى وبدات أجمع في يدي خيوط الحادث.. يا حضرة المفتش ارجوك أن تستدعي البواب وزوجته .
وكان البواب عجوزا تجاوز الستين اما زوجته فكانت اصغر منه بسنوات قليلة .
وقال القاضي يخاطب البواب :
- هل أصابك سوء ؟
- لا يا سيدي . وإن كنت لا أكتمك أن الرعب إستولى علي .
وصاحت زوجته :
- إن من العار أن نهاجم بهذا الشكل ونحن في عقر دارنا لو أن

البوليس يفهم واجبه لما وقع هذا الحادث .

وقال القاضي يقاطعها :

– أما سمعت ما يريب أو رأيت شيئا غير عادي ؟

– كلا على الإطلاق ..

– ألم تسمعا مثلا وقع أقدام ؟

فأسرعت زوجة البواب تقول :

– إن من المستحيل أن نسمع – ونحن في غرفتنا – ما يجري في الحديقة .

– ألم تسمع يا رجل أية جلبة عند الباب الخارجي ؟

– كلا

– إذن فلم تر أي شيء طول الليل ؟

– لقد سمعت جلبة بعد أن كممنا اللصوص .

فقال مسيو "فورمري" :

– هذا شيء له خطورته . من أي نوع كانت هذه الجلبة ؟

– وقع أقدام في الغرفة وطرقات كثيرة .

– أية غرفة ؟

– الغرفة التي فوقنا .. أعني قاعة الاستقبال الكبرى

– ألم تسمع ما يدل على حدوث عراك ؟ مثلا صوت جسم يجر على الأرض أو صرخات أو شيء من هذا القبيل ؟

ونظر البواب إلى زوجته ثم أجاب بالنفي ، وأيدته زوجته في قوله . وبعد سكتة قصيرة قال مسيو "فورمري" :

– كم أمضيت في خدمة مسيو "مارتان" ؟

– أكثر من سنة .

ونظر قاضي التحقيق في الملفات التي أمامه وقال :

– لقد سبق أن حوكمت مرتين وحكم عليك ؟

– نعم يا سيدي ولكن ..

غير أن زوجته ابتدرته مقاطعة :

– إن زوجي يا سيدي القاضي رجل شريف أمين ويمكنك أن تسأل عنه مسيو "مارتان" .

فقال مسيو "فورمري" في لهجة غاضبة :

- اسكتي يا امرأة .. لقد حكم عليك في المرة الأولى بالسجن يوما واحدا . وفي المرة الثانية بالسجن ثلاثة أيام .

- ولكنها كانت تهما شريفة يا سيدي القاضي .

- تهما شريفة ؟

- نعم .. فقد حوكمت في المرة الأولى لأنني هتفت وسط جماعة من العمال ادعوهم إلى الإضراب وقد كنت إذ ذاك في خدمة مسيو "جينليس" .

- الزعيم الاشتراكي ؟

- نعم يا سيدي . وفي المرة الثانية حوكمت لأنني اعتديت على البوليس وقد كنت إذ ذاك في خدمة وكيل الحزب الملكي مسيو "رابولين" .

فابتسم القاضي وقال :

- إذن فقد قمت بخدمة نظامين متناقضين ؟

فما كان من البواب إلا أن أجاب في تلقائية :

- إن مبدئي يا سيدي هو مناصرة مبدأ من اكون في خدمته .

وبعد أن انصرف البواب هو وزوجته قال مسيو "فورمري" :

- إنني أعتقد انهما صادقان والآن فلنفتش المنزل يا سيدي الدوق فقد نقع على أثر يهدينا إلى اللصوص .

الفصل العاشر

مضى قاضي التحقيق يفتش غرف القصر المختلفة وفي رفقته الدوق "دي شارميراس" ومفتش البوليس . وكان جليا أن القاضي يعتقد أن "فيكتوار" قتلت فلما لم يجد في مخدعها أثرا للدماء لاحت عليه أمارات خيبة الأمل ولكنه مالبث أن قال :

– وما يدريني أن اللصوص لم يقتلوها خنقا وأن هذا هو السبب في اننا لم نهتد إلى أي أثر للدم ؟

وأسرع المفتش إلى التأمين على هذا الراي وكان هذا رايه دائما حتى اعتقد القاضي أن المفتش رجل نابه مثله .

ولما بلغوا الحديقة وجدوا عند أسفل السلم الخشبي آثار أقدام كثيرة قد اختلط بعضها ببعض كما وجدوا في الممر الذي يصل بين الحديقة والبناية القائمة في اقصاها كوما من الجير بانت فيه أقدام كثيرة ولكنها كانت بدورها مختلطة ضاعت معالمها .

وفي ذلك الوقت نفسه كان هناك رجل داخل القصر ينزل على السلم متجها إلى الطابق الأول .

وكان هذا الرجل يتجاوز الأربعين من العمر ولا يمتاز إلا بشيء واحد تلك النظرات الحادة النفاذة .

وما كان هذا الرجل إلا المفتش "جوشار" رئيس قسم البوليس السري في إدارة الأمن العام وعدو "ارسين لوبين" اللدود .

وقال له الشرطي القائم بباب قاعة الاستقبال :

– هل أخطر مسيو "فورمري" بقدومك يا مسيو "جوشار" ؟

– لا . لاداعي لذلك مطلقا .

ثم دخل قاعة الاستقبال وراح يفحصها فقال له الشرطي :

– إن غرفة الخادمة واقعة في الطابق الاعلى ويمكن بلوغها بواسطة هذا السلم ، وقد فتشها مسيو "فورمري" .

فقال "جوشار" :

– شكرا . إنني هبطت منها توا .

فقال الشرطي في إعجاب :

- إنك يا مسيو "جوشار" أبرع من مئات من قضاة التحقيق مجتمعين.

فابتسم "جوشار" وقال :

- ينبغي يا صاح ان نكتم هذا الرأي وإلا اثرت عليك نقمة الآخرين .

وأشار الشرطي إلى السلم المسند إلى النافذة وقال :

- يظهر يا سيدي أن اللصوص دخلوا إلى هذه القاعة وخرجوا منها بواسطة هذا السلم .

- شكرا لك .

- ومسيو "فورمري" يعتقد أن "لوبين" بعيد عن ذلك الحادث وأن خطابه إلى مسيو "مارتان" مزور مزيف .

فقال "جوشار" :

- أهذا رأيه حقا ؟ إذن أرجوك أن تخفر هذه القاعة وإياك أن تسمح لأحد بالدخول عدا مسيو "فورمري" بالتأكيد أو المفتش أو الشرطيين "بونافنت" و "ديوزي" .

فقال الشرطي :

- والدوق "دي شارميراس" ؟ هل أمنعه من الدخول ؟

- الدوق "دي شارميراس" كلا .. لا تمنعه بالتأكيد .

وإذ خلا "جوشار" إلي نفسه راح يفحص الغرفة بعناية تامة ففحص السلم الخشبي والمنضدة المجاورة للنافذة وإمضاءات "لوبين" والجدران والأثر الملوث بالجير الظاهر على الأرض ثم قاس المسافة التي بينه وبين النافذة ..

قاسها على اتساع خطوته ويظهر أن نتيجة هذه المقاسات كانت غير مرضية فقد قطب جبينه وغرق برهة في التفكير . ثم جثا على ركبتيه وأخرج من جيبه عدسة مكبرة وراح يفحص السجادة باهتمام .. ثم زحف على بطنه حتى بلغ المدفاة التي يخفيها حاجز النيران ومد عنقه وراء الحاجز وابتسم ثم نهض واقفا وغادر القاعة وذهب إلى قاعة الاستقبال الصغرى ففحصها بعناية ثم ارتد مرة أخرى إلى النافذة التي أسند إليها السلم الخشبي وفحص اللوح الزجاجي المكسور . ثم أشعل سيجارة ووقف يدخن وقد غلبت عليه خواطره .

مرت عشر دقائق ثم انتبه على أصوات عند الباب فما كان منه إلا أن تخطى سياج النافذة بسرعة وهبط إلى الحديقة بواسطة السلم الخشبي .

وفتح الباب ودخل مسيو "فورمري" يتبعه الدوق والمفتش والشرطي القائم بحراسة الباب . وقال القاضي في استغراب :

- عجبا ! أين "جوشار" ؟ ؟

فقال الشرطي :

- لا أدري لقد كان في هذه القاعة .

فقال مسيو "فورمري" :

- لقد هبط بواسطة هذا السلم الخشبي ذاهبا إلى البناية إنه سيفعل الآن ما فعلناه نحن منذ دقائق ولو انه سالني لوفرت عليه هذه المشقة ولانباته بكل ما ينبغي أن يعلم .

فقال الدوق :

- يحتمل أن يهتدي إلى شيء غاب عنا .

فقال القاضي في لهجة عتاب :

- محال يا سيدي ! إن قوة الملاحظة تنمو مع كثير من المران يا سيدي وثق بانني لم أغفل في بحثي شيئا .

وجعل مسيو "فورمري" يتمشى في أرجاء الغرفة وقد بدت في وجهه أمارات التفكير العميق ثم قال فجاة :

- إنني كلما ترويت في الأمر أيقنت أنه لا دخل لـ "أرسين لوبين" في هذا الحادث وأنها سرقة عادية تافهة مجردة من أي لبس أو غموض . الست من هذا الرأي يا حضرة المفتش ؟

فقال المفتش على عادته مؤمنا : بالتاكيد . إن "أرسين لوبين" بعيد عن هذا الحادث بعدا تاما .

فقال القاضي :

- ولكني موقن بان مسيو "جوشار" لن يقرني على هذا الراي ومن المستحيل أن اتمكن من إقناعه لان "لوبين" عنده أشبه بالوهم المتسلط أو المرض المزمن فلو وقعت سرقة في المريخ لقال إن "لوبين" هو مرتكبها .

فقال الدوق متسائلا :

- ولكن .. الم يقبض على "لوبين" مرة ..

- كلا ولن يقبض عليه فهذا الوهم يضله عن الطريق السليم .. وبعد سكتة قصيرة عاد يقول :

- عندما عرفت باختفاء فيكتوار" خطر لي انها قتلت ولكني لم اجد اثرا يدل على قتلها ولهذا خطر لي راي آخرلا ريب انه الصواب ، وهو أن فيكتوار شريكة اللصوص ولاريب انها شوشت فراشها لتضللنا ولكنها لم تنم فيه قط ..

فقال الدوق :

- إذن فانت تعتقد انها شريكة اللصوص ؟

- هذا لاريب فيه ويحسن بنا ان نفتش غرفتها مرة أخرى .

وفجاة برز رأس "جوشار" من النافذة وهو واقف على السلم الخشبي وسمعه الحاضرون يقول :

- لا داعي يا عزيزي "فورمري" لأن تحمل نفسك هذه المشقة .

فتحول القاضي صوب النافذة وقال في دهشة :

- "جوشار" ! أنت هنا ؟!

- نعم . إنني هنا .

وتخطى حافة النافذة وقفز إلى القاعة .. وبعد أن تم التعارف قال الدوق :

- لقد سمعت يا سيدي بذكائك ودهائك النادر فرجوت مدير الأمن العام في إلحاح أن يعهد إليك بهذه القضية .

ولكن مسيو "فورمري" انبرى يقول مقاطعا :

- ولكن ما الذي كنت تفعله على السلم ؟

فابتسم "جوشار" وقال في تلقائية :

- كنت أصغي إلى ما تقولون ، فإن من عادتي يا صديقي أن أصغي إلى الناس وهم يتكلمون إذا كنت مستغرقا في التفكير . وبهذه المناسبة دعني أهنئك على طريقتك البارعة التي سلكتها في تحليل هذه القضية .

فانحنى مسيو "فورمري" شاكرا ولكنه في الوقت ذاته كان يسائل نفسه هل كان "جوشار" جادا في قوله أم انه يريد أن يهزأ به؟

واسترسل "جوشار" يقول :

- نعم .. اهنئك وإن كنت اخالفك في نقطة أو نقطتين .

واراد "فورمري" أن يتحاشى الجدل فقال مغيرا مجرى الحديث:

- إذن فلا داعي في رأيك لتفتيش مخدع "فيكتوار" مرة أخرى .

- نعم . لا داعي مطلقا لأنني فتشته بنفسي .

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخل شرطي البوليس السري "يونافنت" مساعد "جوشار" وفي يده قطعة من القماش وهو يقول:

- لقد وجدت هذه الخرقة يا سيدي بالقرب من حافة البئر الموجودة في هذه الحديقة ولما عرضتها على زوجة البواب قررت انها قطعة من ثوب "فيكتوار" .

فصاح مسيو "فورمري" :

- آه هذا ما كنت أتوقعه ، ولا ريب أنهم قتلوها . هيا بنا إلى البئر إذن .

وسار إلى الباب مسرعا ولكن "جوشار" ظل في مكانه لا يتحرك وقال :

- أظن انه لا داعي لأن نبحث عن "فيكتوار" في البئر .

فقال مسيو "فورمري" في انفعال :

- وهذه الخرقة المنزوعة من ثوبها ؟

فالتفت "جوشار" إلى الدوق وقال :

- هل في هذا البيت كلب أو قط ؟

فصاح مسيو "فورمري" في غيظ :

- نبحث في جريمة قتل وانت تسأل عن الكلاب والقطط ؟

فابتسم "جوشار" وقال :

- ولكن لهذا السؤال أهمية كبيرة .

وقال الدوق مجيبا :

- إنني اعرف أن في هذا البيت قطا .

فقال "جوشار" :

- إذن فهذا القط هو الذي نزع هذه القطعة من الثوب وذهب بها إلى البئر .

واحمر وجه مسيو "فورمري" وقال :

- هذه نظرية مضحكة .إننا يا صديقي إزاء جريمة قتل فأرجوك أن

تطرح المزاح جانبا .

فقال "جوشار" في تلقائية : جريمة قتل ؟ اقتل احد هنا ؟

- اقتل احد هنا ؟ "فيكتوار" بالتاكيد . ياله من سؤال .

فقال "جوشار" دون أن يزايله هدوءه :

- ولكن "فيكتوار" لم تقتل .

- لم تقتل ؟إننا لا نعرف شيئا من هذا ؟

- اما انا فاعرف .

فصاح مسيو "فورمري" في حنق :

- انت .. انت ؟

- نعم . إنني أعرف أن "فيكتوار" لم تقتل .

- إذن كيف تفسر اختفاءها ؟

- إذا كانت قد اختفت فليس لدي اي تفسير للأمر .

- إذا كانت قد اختفت ؟ وهل الأمر يحتمل احتمالا . انها قد اختفت بالتاكيد .

فهز "جوشار" راسه نفيا وقال :

- إنني لا اجاريك في هذا الرأي .

فصاح "فورمري" وقد اشتد به الغضب :

- إنك إذن لا تعرف شيئا .

- بل أعرف .

- أتريد أن تقول إنك تعرف مكانها ؟

- بالتاكيد . إنني أعرف مكانها .

فصاح مسيو "فورمري" متهكما :

- لعلك تريد ايضا ان تقول إنك رأيتها ؟

فاجابه "جوشار" في هدوء :

- نعم رايتها ؟

- رايتها ؟ .. متى رايتها ؟

ففكر "جوشار" هنيهة ثم قال :

- منذ خمس دقائق على الأكثر .

فكاد مسيو "فورمري" يخرج عن وعيه وصاح : "جوشار" دع المزاح

جانبا .

- ولكني لا امزح .

- كيف رايتها إذن ؟ إنك لم تغادر هذه الغرفة .

- نعم لم اغادرها .

- ومع ذلك رايت "فيكتوار" ؟

- ومع ذلك رايتها .

فتنهد مسيو "فورمري" بطريقة تدل على نفاد الصبر وقال له:

- إذن فبالله عليك اين رايتها ؟

- هنا في هذه القاعة ؟

- في هذه القاعة ؟..في هذه القاعة ؟ و كيف جاءت إلى هذه القاعة ؟

- محمولة على مرتبة .

فارغى مسيو "فورمري" وازبد وصاح :

- إنني اكره مثل هذا المزاح ونحن في وقت الجد .

فقال "جوشار" :

- ولكنني لا امزح ... انظر!

وسار إلى المدفاة وابعد المقاعد المربوطة بالحبال التي كانت موضوعة امام المدفاة على شكل نصف دائرة ، ثم جذب حاجز النيران ووضعه في ركن الغرفة فبان مدخل المدفاة .

وقد راى الحاضرون عند هذا المدخل مرتبة موضوعة على الأرض وفوقها ترقد امراة عجوز مكممة مشدودة الوثاق .

وقال "جوشار" :

- هذه هي "فيكتوار" ، وهي مستغرقة في النوم فقد خدروها بالكلوروفورم.

ومال إلى الأرض فتناول منديلا مبللا بهذا السائل .

ثم امر بعض رجال الشرطة بان ينقلوا المراة ويعالجوها ببعض المنعشات .

وكانت هذه المفاجاة قد اذهلت مسيو "فورمري" ومست كبرياءه فشعر بالخجل والتفت إلى المفتش و صاح به :

- الم تفتش المدفاة يا سيدي ؟

- نعم لم افتشها.

فصاح مسيو "فورمري" في غضب :

- هذه غلطة لا تغتفر يا سيدي المفتش ، ليت شعري كيف أستطيع أن أعمل مع رجال يهملون أهم الواجبات ؟

فقال "جوشار" مدافعا عن المفتش :

- هذا سهو يسير .

فقال "فورمري" :

- مهما يكن فقد كان مفروضا أن أراها على أية حال .

- بالتأكيد . لاسيما إذا زحفت على بطنك كما فعلت انا ، فقد كانت قدماها بارزتين من تحت الحاجز .

فقال "فورمري" :

- ولكن من الغريب أن منظر هذا الحاجز لا يدل على أن وراءه شيئا .

- يجب الا تخدعك المظاهر يا سيدي في الحوادث التي لـ"أرسين لوبين" يد فيها .

فصاح مسيو "فورمري" :

- "لوبين" . ها "لوبين" دائما.

وابتسم في تهكم ثم التفت إلى أحد رجال الشرطة وقال :

- إن إغماء "فيكتوار" سيطول فامضوا بها إلى مخدعها .

فصاح "جوشار" :

- بل امضو بها إلى مخدع غير مخدعها وليتول احدكم حراسة الباب.

فقال قاضي التحقيق :

- أكيد .. أكيد ..

ثم اعقب هذا سكتة قصيرة واخيرا قال القاضي :

- والآن لابد لي من أن أتروى في الأمر وأدرس جميع الظروف التي أحاطت بهذه الحوادث . نعم ينبغي أن اجمع في يدي جميع الخيوط الكفيلة بإرشادي إلى أثر اللصوص .

وغرق في التفكير . وارتسمت على شفتي الدوق دي "شارميراس" ابتسامة ادرك منها "جوشار" ان الدوق يزدري ذكاء قاضي التحقيق ولا يقيم وزنا لآرائه .

الفصل الحادي عشر

مرت لحظات و "جوشار" يرقب قاضي التحقيق وهو غارق في خواطره ثم تسلل من الغرفة دون أن يفطن إلى أمره أحد ، أما الدوق فمد يده في جيبه متظاهرا بالبحث عن علبة سجائره وغمغم:

- اين سجائري ؟

وبدوره تسلل من الغرفة ولحق بـ "جوشار" على الدرج و قال له :

- اتسمح لي بمرافقتك يا مسيو "جوشار" ؟

- لا مانع لدي .. لاسيما انني احب أن اسالك الراي في بعض الامور . ولقد كان في وسعنا أن نتباحث في شانها امام مسيو "فورمري" ولكن ..

فقال الدوق مقاطعا :

- يحسن بنا الا نزعج مسيو "فورمري" في تفكيره العميق .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة فضحك "جوشار" وقال:

- هذا صحيح . هذا صحيح .

ولما خرجا إلى الحديقة مضى "جوشار" يسال الدوق عن "كاروليه" وابنائه واوصافهم وحادث سرقة العقد .

واخيرا قال الدوق :

- الا يجوز أن يكون مسيو "كاروليه" هو "ارسين لوبين" نفسه ؟

- هذا جائز ، فهو في قدرته على التنكر لا يجارى وقد التقى معه زميلي "جانيمار" ثلاث مرات ومع ذلك فقد كان يجده في كل مرة مختلفا عنه في المرة السابقة . ومن الغريب انك لا تجد في الصور التي لدينا لـ "ارسين لوبين" صورتين تتشابهان ولا عجب في هذا فقد كان "لوبين" ابرع الممثلين .

وبعد هذا بدا يسال الدوق عن خدم مسيو "مارتان" إذ لم يكن يستبعد أن يكون هؤلاء الخدم اعوانا لـ "لوبين".. كما انه من المحتمل جدا أن يكون "لوبين" نفسه هو احد الخدم متنكرا .

فقال الدوق :

- ولكن كيف يستطيع أن يجمع بين هاتين الصفتين ؟ اعني كيف

يكون هو "كاروليه" وفي الوقت ذاته يكون أحد الخدم ؟

فقال "جوشار" :

- لكني لم أقطع بأن "كاروليه" هو "لوبين" بل إنني أرجح أنه هو ، فإن سرقة السيارات ليست بالأمر الخطير الذي ينبغي أن يتولاه بنفسه.

وأخيرا قال الدوق :

- إنني أعتقد أن اقتناص "لوبين" ليس بالأمر السهل وخصوصا أنكم لم توفقوا إلى القبض عليه من قبل .

فقال "جوشار" مقاطعا :

- ولكننا قبضنا عليه من قبل .. لقد اعتقله "جانيمار" مرتين غير أنه استطاع أن يفر هاربا في المرة الأولى أما في المرة الثانية فضلل المحكمة إذ استطاع أن يثبت أنه ليس هو "لوبين" فأفرج عنه فورا.

فهز الدوق رأسه وقال:

- هذا غريب ، ولكن ألا يحتمل أنكم كنتم مخطئين ؟

- لا .. لأنه ما كاد يغادر قاعة المحكمة حتى انفرد بـ "جانيمار" في مكان خال وحدثه بأمور لا يعرفها أحد سوى "لوبين" و"جانيمار" . ولما هم "جانيمار" بأن يقبض عليه مرة أخرى لكمه "لوبين" فألقاه على الأرض صريعا وفر هاربا .

غير أن لكل رجل نقطة ضعف وهذه النقطة عند "أرسين لوبين" هي افتتانه بالنساء الجميلات ، ولقد كانت المرأة هي السبب في وقوعه بين أيدينا مرة بعد أخرى ولقد اتخذ "جانيمار" و "شرلوك هولمز" المرأة شركا لاصطياد "أرسين لوبين" .

فقال الدوق :

- ولكنه شرك وضيع .

فقال "جوشار" :

- وضيع ؟ إن كل شيء مباح في مطاردة هذا اللص الخطير .

فقال الدوق :

-بالتأكيد . إن كل شيء مباح .. ولكن إلى أي شيء انتهت هذه المطاردة ؟

– لقد استطاع "جانيمار" أن يظفر بـ "لوبين" ولكنه فر بعد ربع ساعة .
– وما كان من شان المرأة التي وشت به ؟
– لقد سمعت أخيرا أنها ماتت .
فقال الدوق :
– وهل يمكن أن توجد امرأة في العالم تحب "لوبين" أو من كان من طراز "لوبين" ؟!
فقال "جوشار" :
– بل إن الأمر على نقيض ذلك يا سيدي الدوق وفي وسعي أن أؤكد لك أن عشرات من نساء الطبقة الراقية عرضن علي الوفا من الفرنكات لكي أقدمهن إلى "أرسين لوبين" . إنهن يرين فيه بطلا ويهمن به حبا .
وكانا خلال هذا الحديث يتجولان في الحديقة فشاهد "جوشار" أثر الأقدام الظاهرة عند أسفل السلم الخشبي وفي كومة من الجير في البناية ثم التفت إن الدوق وقال :
– يحسن بنا أن نعود الآن إلى القصر فقد رأيت كل ما أحب أن أرى .
ولما رجعا إلى القصر رأيا مسيو "فورمري" لا يزال غارقا في التفكير فلما رآهما داخلين عليه رفع رأسه وقال :
– لا ريب أن اللصوص نقلوا هذه المسروقات الثقيلة في مركبة نقل انتظرتهم بالباب .
فقال "جوشار":
– لقد عهدت إلى "ديوزي" بأن يتحرى عن ذلك .
– حسنا . وهل وجدت آثارا ذات نفع في الحديقة أو في القصر؟
فقال "جوشار" في اقتضاب :
– نعم . وجدت آثارا كثيرة .
فقال مسيو "فورمري" ساخرا :
– بالتأكيد آثار "لوبين" ..
– لا ..
فابتسم قاضي التحقيق وقال :
– يلوح لي أنك استطعت أخيرا أن تنقذ نفسك من هذا الوهم المتسلط عليك وتعدل عن رأيك .

فقال "جوشار" في هدوء :

- إنني لم أعدل عن رأيي .

وفي هذه اللحظة ارتفع من خارج القاعة جلبة حادة ثم فتح الباب في عنف ودخل مسيو "جورناي مارتان" ودار ببصره في القاعة ثم صاح :

- اللصوص .. يا للأوغاد يا للأنذال .

وتهاوى على احد المقاعد وراح يبكي .

وأقبلت في أثره ابنته "جرمين" تتبعها "سونيا" ، وحين رأت "جرمين" الدوق التفتت إليه وقالت في غضب :

- لقد كان مزاحك سخيفا .. أتعلم انه ليس هناك قطار في الساعة التاسعة ثم تدعنا نغادر القصر تحت وابل من المطر ؟

فقال الدوق في دهشة :

- ماذا تقولين ؟أليس هناك قطار في الساعة التاسعة ؟

- كلا بالتأكيد فإن دفتر المواعيد قديم .. لقد مضت عليه سنوات وكان هذا منك مزاحا سخيفا يا "جاك" .

- ولكني لم أكن أمزح .. لقد وجدت الدفتر في الدرج فنظرت فيه دون أن يخطر ببالي أنه قديم .

فقالت "سونيا" :

- ولقد كان هذا ما ظننت إذ ليس معقولا أن يقدم الدوق على دعابة كهذه . .

فابتسم الدوق شاكرا .

وقالت "جرمين" :

- إنها إذن غلطة تدل على الغباء .

وانبعث مسيو "مارتان" يصيح :

- تحفي .. صوري ..

إن قيمتهما نصف مليون فرنك على الأقل .

فقال مسيو "فورمري" محاولا أن يهدىء من ثائرته :

- سنعيد ما سرق إليك يا سيدي فليهدأ بالك .

- أتقول حقا ؟!

- بكل تأكيد . ومن حسن حظك أن اللصوص لم يظفروا بتاج الأميرة

"دي لامبال" .

فقال مسيو "مارتان" :

- أواثق أنت بهذا ؟

فقال الدوق مجيبا :

- لأنهم لم يمسسوا هذه الخزانة .

فقال المليونير :

- ولكن هذه الخزانة فارغة .

فصاح الدوق :

- فارغة ؟ إذن فقد سرقوا التاج .

- لا فإن التاج موضوع في ... ولكن هل سطوا على مخدعي ؟

فقال قاضي التحقيق :

- إن الظواهر تدل على أنهم لم يقربوا إلا قاعة الاستقبال .

فابتسم المليونير وقال :

- إن التاج في الخزانةالموجودة في مخدعى ومفتاحها في جيبي ، أما مفتاحها الثانى ففي هذه الخزانة .

فقال مسيو "فورمري" :

- دعني أهنئك إذن بعدم سرقةالتاج .

فصاح المليونير :

- ولكنهم سرقوا تحفي وصوري يا للأنذال .

الفصل الثاني عشر

مرت بضع لحظات ومسيو "جورناي مارتان" هائج ثائر يسب ويلعن وينعى الخسارة التي لحقت به ولكن ثورته ما لبثت أن سكتت بغتة وراح يضرب كفا بكف ويقول :

- و "كاروليه" ؟ لقد ظننت انه يريد أن يبتاع السيارة حقا .يا إلهي . هذه صفقة منيت فيها بخسارة جديدة . الف جنيه تصوروا؟ الف جنيه؟

وكاد الدوق يقهقه ضاحكا حين سمع هذه الكلمات ولكنه تماسك وغادر القاعة إلى غرفة أخرى انفرد فيها بنفسه فضحك ملء شدقيه.

وقال مسيو "مارتان" يخاطب الشرطي الباريسي الشهير :

- اتعتقد يا "جوشار" أنك وقفت على ما يهديك إلى اللصوص ؟

وقبل أن يجيب انبرى مسيو "فورمري" يقول :

- والآن ينبغي أن نتابع تحقيقنا .وجلس إلي المكتب ووجه الحديث إلي المليونير قائلا :

- هل وقعت في قصرك سرقات أخرى غير هذه ؟

- نعم . فمنذ ثلاثة أعوام توعدني هذا النذل "لوبين" بان ..

ولكن قاضي التحقيق ابتدره مقاطعا بقوله :

- إنني أعرف كل ما يتعلق بهذا الحادث ولكني قصدت سرقات أخرى.

- نعم .. وقعت سرقات أخرى كانت ابنتي ضحيتها .

فقالت "جرمين" :

- نعم . فقد سرقت مني أشياء مرتين أو ثلاثا في خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة .

- ولماذا لم تبلغوا البوليس ؟ ولكن إلى من اتجهت ريبتكم ؟ إلى "فيكتوار" بالتأكيد ؟

ولكن "جرمين" هزت رأسها نفيا وقالت :

- لا .. إن "فيكتوار" موضع ثقتنا التامة هذا إلى أن السرقتين الأخيرتين وقعتا في قصر "دي شارميراس" في الوقت الذي كانت فيه "فيكتوار" موجودة في "باريس" .

وكان مسيو "فورمري" يتمنى أن يسمع من "جرمين" جوابا يؤيد شبهاته فلما سمعها تنفي التهمة عن "فيكتوار" قطب جبينه وقال :

- ومتى وقعت أول سرقة ؟

- منذ ثلاثة أعوام تقريبا .

فتروى مسيو "فورمري" برهة ثم قال :

- ينبغي أن أعرف أسماء الخدم الذين التحقوا بخدمتكم قبل السرقة الأولى .

- لقد استخدمنا "فيكتوار" منذ عام واحد .

فقال مسيو "فورمري" وقد بدت نبرات اليأس في صوته .

- منذ عام واحد فقط ؟ وما آخر شيء سرق منك ؟

- دبوس ماسي . وهذا بخلاف العقد اللؤلؤي الذي كاد يسرق لولا أن تنبه الدوق إلى ما حدث .

- إنني أريد أن أرى هذا العقد . أين هو ؟

فالتفتت "جرمين" إلى الدوق وقالت :

- أين العقد يا "جاك" إنه معك بالتأكيد .

فهز راسه نفيا وقال :

- معي ؟! لا . إنه معك أنت .

فبدا القلق على وجه "جرمين" وقالت:

- ليس معي إلا العلبة فارغة .

فاشتدت دهشة الدوق وقال :

- العلبة فارغة ؟ كيف هذا ؟

- عند رجوعنا من المحطة وجدت العلبة مكانها فوق الدولاب فلما تناولتها وجدتها فارغة فظننت انك انت الذي اخذت العقد معك .

فقال القاضي مخاطبا الدوق :

- وما يدريك أن "برنارد" عندما أعاد العلبة إليك غافلك ونشل العقد منها وأعادها إليك فارغة ؟

فقال الدوق :

- وهل تحسبني غرا جاهلا حتى تجوز علي مثل هذه الخدعة لقد فتحتها ونظرت فيها ورأيت العقد مكانه .

فقال المليونير :

- رباه ! إذن فقد سرق العقد أيضا .

فقال الدوق :

- هذا بعيد الاحتمال . ولا ريب أن "سونيا" أو "إيرما" أخذته .

فقالت "جرمين" :

- لا اظن أن "سونيا" هي التي أخذته فقد سمعتني وأنا أسأل عن العقد .

- فلنسال "ايرما" إذن .

ولما جيء بـ "إيرما" كان وجهها يدل على الخوف والهلع .

قالت "جرمين" تخاطبها :

- - إيرما" . هل ..

ولكن قاضي التحقيق قاطعها بقوله :

- عفوا يا آنسة ، فانا الذي أتولى التحقيق .

ثم التفت إلى "إيزما" وقال :

- لا تخافي يا آنسة "إيرما" إني احب ان اطرح عليك سؤالا او سؤالين هل اتيت معك بالعقد الذي أهداه الدوق "دي شاراميرس" إلى الآنسة "جرمين" اليوم ؟

- لا يا سيدي . لا يا سيدي . إنني لم احضره معي .

- أواثقة انت بهذا ؟

- بالتاكيد يا سيدي بل إنني لم ار هذا العقد قط و أظن أن سيدتي قد تركته في علبة فوق الدولاب .

- كيف عرفت هذا ؟

- هذا ما سمعته من الآنسة "جرمين" نفسها . ومن المحتمل أن تكون الآنسة "كريتشنوف" قد أودعته حقيبتها :

فانبرى الدوق يقول على عجل :

- وما الذي جعلك تذكرين الحقيبة بنوع خاص ؟

- أعني أنها ربما أودعته حقيبتها لكي تاتي به إلى "باريس" .

وكان "جوشار" حتى هذه اللحظة منزويا في أحد الأركان يرقب ما يجري وقد بدت عليه أمارات السامة ولكنه بغتة قطع هذا الملل وتالقت

عيناه اهتماما وانبرى يقول :

- وما الذي يجعلك تميلين إلى هذا الظن ؟

- لا شيء .. ولكني رايت الآنسة "كريتشنوف" تقف إلى جانب الدولاب الموضوع فوقه العقد فظننت أنها ستاخذه ... فقال القاضي:

- وهل كان العقد إذ ذاك فوق الدولاب ؟ .. فحنت "إيرما" راسها وقالت:

- نعم .

وبعد سكتة قصيرة قال القاضي :

- كم مضى عليك في خدمة مسيو "جورناي مارتان" ؟

- ستة اشهر يا سيدي .

- شكرا لك . يمكنك أن تنصرفي .

فغادرت الغرفة وقد تبدد قلقها وبدت عليها دلائل الارتياح .

وقال القاضي :

- والآن لابد من استجواب الآنسة "كريتشنوف" .

فانبرى الدوق يقول :

- إن الآنسة "كريتشنوف" فوق المظان والريب .

وابتدرته "جرمين" بقولها :

- بالتاكيد . بالتاكيد .

فقال "جوشار" :

- كم مضى عليها في خدمتكم ؟

فسكتت "جرمين" هنيهة مفكرة ثم قالت :

- ثلاثة أعوام .

فقال القاضي :

- أي منذ العهد الذي وقعت فيه السرقات ؟

- نعم .

فالتفت القاضي إلى المفتش وقال :

- ادع الآنسة "كريتشنوف" .

فقال الدوق وهو يسير إلى الباب مسرعا :

- إني أعرف مكانها وسابعث بها إليكم .

ولكن "جوشار" ابتدره قائلا :

- عفوا يا سمو الدوق إن المفتش هو الذي سيتولى دعوتها .

فتحول إليه الدوق وقال في غضب :

- ولكن هل تريد أن ...

فابتدره "جوشار" معتذرا :

- أرجوك الا تغضب يا سيدي الدوق . فإن مسيو "فورمري" يشاطرني هذا الرأي ..

فقال القاضي :

- بالتأكيد .. فإن لنا طريقة معينة في استدعاء الشهود ولا أحب أن نعدل عنها .

فهز الدوق كتفيه في استخفاف وقال :

- فليكن إذن ما تريدون .

وارتد إلى مكانه وهو يسير في غير اكتراث .

وبعد قليل رجع المفتش وأنبأ الحاضرين أن الآنسة "كريتشنوف" ستحضر بعد لحظات وقال معقبا :

- لقد كانت تهم بالخروج .

فصاح مسيو "فورمري" في استغراب :

- تهم بالخروج أمعنى ذلك أنك جعلت الخروج مباحا لمن شاء ؟

- لا يا سيدي بالتأكيد ولكني أعني انها كانت تسأل هل كان خروجها ممنوعا ؟

وأشار القاضي إلى المفتش بالدنو منه وهمس في أذنه:

- اصعد إلى غرفتها خلسة وفتش حقائبها .

فهمس "جوشار" في صوت خافت :

- لا داعي لذلك .

فقال مسيو "فورمري" مرددا مخاطبا المفتش :

- نعم لا داعي لذلك . لا داعي لذلك مطلقا .

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت "سونيا" وكانت لا تزال تحمل معطف السفر على ذراعها .

دارت ببصرها في أرجاء القاعة وقد نمت نظراتها عن الدهشة ،

واستقرت عينا الدوق على وجهها . ولم تكن نظرته إليها عادية بل كانت متفرسة نفاذة كانما تريد أن تستشف ما يدور في أعماق نفسها . ولما التقت عيونهما غضت "سونيا" من بصرها .

وقال مسيو "فورمري" يخاطبها :

- إنني أريد أن أطرح عليك بضعة أسئلة .

ولكن "جوشار" انبرى يقول :

- أتسمح لي يا سيدي القاضي بأن أتولى استجوابها بنفسي ؟

نظر إليه القاضي دهشا ولكن شيئا في عيني "جوشار" جعله يلبي هذه الرغبة بلا تردد .

وقال "جوشار" يخاطبها :

- هل رأيت العقد الذي أهداه الدوق "شارميراس" بالأمس إلى الآنسة "جرمين" ؟

- نعم رأيته .

- وهل عرفت أن هذا العقد قد سرق ؟

- سرق ؟ أمتأكد أنت من أنه سرق ؟

وكان صوتها ناطقا بالدهشة والقلق .

- نعم سرق .. وبعد أن استعرضنا ظروف هذه السرقة اتفق رأينا على أن السارق أراد أن ينفي عن نفسه الشبهات ودس العقد في حقيبة شخص من أهل الدار .

فقالت "سونيا":

- إن حقيبتي في مخدعي فلنفتشها وهاك المفتاح .

ووضعت معطفها على حافة المقعد لتخرج المفتاح من حقيبة يدها ولكن المعطف انزلق فسقط على الأرض عند قدمي الدوق فأسرع وانحنى ليرفعه .

ولقد كان الدوق طول الوقت يتفرس في "سونيا" ويحدجها بهذه النظرة النفاذة الفاحصة وقد قرأ في عينيها ما رابه وانكشفت له طوايا نفسها ، فلما مال إلى الأرض ليتناول المعطف دس أصابعه في خفة في أحد الجيوب فانطبقت على شيء ملفوف في ورقة ثم أخرج هذا الشيء ودسه في جيبه ولم يفطن أحد إلى ما حدث إذ كان الحاضرون جميعا

ينظرون إلى "سونيا" وهي تخرج المفتاح من حقيبتها كما أن الدوق حرص على أن يتخذ من مسند المقعد ايضا سترا يخفي وراءه ما فعل .

قدمت "سونيا" المفتاح إلى "جوشار" ولكنه أجابها بقوله :

– لا داعي لتفتيش حقيبتك ، فهل لديك شيء آخر يمكن أن نفتشه؟

ولما ظلت صامتة قال "جوشار" مسترسلا :

– أكان في نيتك الخروج الآن ؟

– نعم .. لأشتري بعض ما أنا في حاجة إليه .

فقال "جوشار" مخاطبا القاضي :

– أظن أنه لا مانع لديك يا سيدي الآن من خروج الآنسة "سونيا" ؟

– لا .. لا مانع لدي ، فلتخرج إن شاءت .

وهمت "سونيا" بالانصراف ولكن "جوشار" ابتدرها بقوله :

– لحظة واحدة . أتسمحين لي بأن أرى ما في حقيبه يدك هذه ؟

– ليس فيها سوى منديلي ونقودي .

ومدت إليه يدها بالحقيبة وقد فتحتها فاكتفى "جوشار" بأن ألقى عليها نظرة سريعة وقال :

– لا أظن أن الجرأة ستبلغ بالسارق هذا الحد ؟

وسارت "سونيا" إلى الباب ثم تحولت إلى المقعدالذي وضعت فوقه معطفها وهمت بأن تتناوله .

وفي هذه اللحظة تألقت عينا "جوشار" ببريق الانتصار وفي وثبة واحدة كان عند الباب وهو يقول :

– اسمحي لي .

فوقع في روعها أنه سيعينها على ارتداء المعطف فقالت :

– شكرا .. إنني لن أرتديه الآن .

فأسرع يقول :

– ترى هل فتشت جيوب معطفك ؟ إن من الجائز جدا أن يكون السارق قد اتخذه مخبأ للعقد؟ هذا الجيب مثلا .. إني أراه منتفخا أكثر مما ينبغي .

وأشار إلى الجيب الذي كانت فيه اللفافة التي نشلها الدوق سرا .

وارتدت "سونيا" إلى الوراء وقد نطقت عيناها بالرعب ودارت

ببصرها في الغرفة كانما تنشد مهربا . وصاحت في صوت ذي بحة :
– ما هذا ؟ كاني بك تشتبه في ؟
وأطبقت بيدها على الجيب كانما تريد ان تحول دون تفتيشه وقال "جوشار" :
– معذرة يا سيدتي . في بعض الأحيان قد نشتبه في جميع الناس .
وتدخل الدوق فقال في صوت لطيف النبرات :
– لاداعي للاعتراض يا آنسة "سونيا" . هذه مجرد شكليات لابد منها.
فقال "سونيا" في اضطراب :
– ولكن . ولكن .. ونظرت إلى الدوق متوسلة مستنجدة .. فقال هذا في بطء وفي صوت واضح المعالم :
– ليس هناك ما يدعو إلى إثارة خوفك .
وفي ياس ناولت "سونيا" المعطف إلى "جوشار" . واسرع هذا فدس يده في الجيب المنتفخ وهو يبتسم زهوا وانتصارا ولكنه ما لبث ان اخرجها فارغة وهو يغمغم في ياس :
– لاشيء ! لاشيء : إني اسالك المعذرة يا سيدتي .
وأعاد إليها معطفها فسارت إلى الباب ولكنها ترنحت قليلا فخف إليها الدوق وأسندها وهو يقول في صوت رقيق :
– هل سيغمى عليك ؟
– لا . شكرا لك ..
ثم همست :
– لقد انقذتني في الوقت المناسب .
ثم غادرت الغرفة ، فالتفت مسيو "فورمري" إلى "جوشار" وقال:
– إنك ارتكبت غلطة شنيعة يا "جوشار" .
فلم يحاول "جوشار" ان يدافع عن فعلته بل قال :
– هل شددت الأمر بمنع أي شخص من الخروج ؟
– نعم . ماعدا "سونيا" بالتاكيد ..
– بل إني أريد أن امنع "سونيا" بنوع خاص من الخروج .
فقال مسيو "فورمري" متهكما :
– الحق أن أمرك عجيب يا "جوشار" . منذ لحظات تطلب إلي أن أخلي

سبيلها والآن تسالني أن أمنعها من الخروج ؟ لعلك تعتقد أن "سونيا" هي "آرسين لوبين" متنكرا ؟

فضحك "جوشار" وقال :

– لا اكتمك أنها نكتة لطيفة .

وغادر الجميع القاعة ليشرعوا في تفتيش البيت . وتخلف عنهم الدوق وأوصد على نفسه باب القاعة ثم اخرج من جيبه اللفافة التي أخذها من جيب "سونيا" وإذ فضها بدا العقد متالقا أمام عينيه !!

الفصل الثالث عشر

هز الدوق راسه في حزن واسى وهو ينظر إلى العقد وقال يخاطب نفسه في صوت المحزون :

- هذا غريب ..

وجعل ينظر إلى الحديقة ساهما شاردا . وفتح الباب فدخلت "سونيا" وهي شاحبة الوجه واقتربت من الدوق وقالت في صوت مجروح النبرات .

- اغفر لي زلتي .. اصفح عني .

فقال الدوق في صوت متهدج :

- ولكن كيف هذا ؟ هل انت سارقة ؟

وتنهدت "سونيا" في حزن فقال الدوق وهو ينظر إلى باب القاعة:

- يجب أن تنصرفي .

فاشتد اضطرابها في حزن :

- رباه ! هذا ما كنت اتوقع .! إنك ستمقت بعد الآن ان توجه إلي الحديث .

- إن "جوشار" كثير الشكوك ، وليس من الحكمة أن نتبادل الحديث هنا .

- ولكنك الآن تحتقرني بلا شك .

فقال الدوق في انزعاج :

- خفضي صوتك . إن "جوشار" بالمرصاد .

فصاحت في ياس :

- وما يعنيني من ذلك بعد أن فقدت الشخص الوحيد الذي كان يعطف علي ؟ إن الحياة عندي تافهة لاقيمة لها .

فقال الدوق :

- إن من الحكمةان نتبادل الحديث في غير هذا المكان .

فصاحت في انفعال :

- لا .. لا . بل يجب أن اتكلم هنا . فورا . يجب أن تعرف الحقيقة . كل

شيء .

يا إلهي ماذا اقول ؟ إنها إنها "جرمين" إنها تقتني كل شيء المال . والهناء . بالامس رايتك تهديها هذا العقد امامي وقد رايتها فرحة . هانئة . سعيدة ولهذا سرقت العقد انا ايضا اريد ان اكون مثلها . اريد ان اكون فرحة .. سعيدة . إني محرومة من كل شيء ! افي هذا عدل وإنصاف؟ إنني ابغضها . إنني امقتها .

وكانت "سونيا" ترتعد وهي تردد هذه الكلمات في صوت متهدج.

وقال الدوق يخاطبها :

- "سونيا" ماذا دهاك ؟!

فصاحت في ياس :

- نعم إنني اكره "جرمين . بالتاكيد كان ينبغي أن اكتم عنك هذا لانك خطيبها ولكني عجزت وانت السبب في كل هذا انت الرجل الذي . انت الرجل الذي ..

ولكنها امسكت ولم تتم جملتها .. وكان الدوق من الذكاء حتى ادرك انها تريد ان تقول : "انت الرجل الذي احبه".

وربت ذراعها في رفق وقال :

- "سونيا" .

لكنها قاطعته بقولها:

-إنني اعلم ان ذنبي لا يغتفر . فاعلم إذن ان هذه ليست اول سرقة ارتكبتها . إنها السرقة العاشرة ! نعم العاشرة ولكنني اريد منك أن تؤمن بشيء واحد .. نعم ارجوك ان تصدق انني منذ رايتك .. منذ . منذ عرفتك . اقلعت عن السرقة . ولكني لم أعرف ما دهاني بالأمس !

حين رايتك تهديها القلادة فقدت صوابي ولم تعد لي سيطرة على اعصابي وإرادتي .

فقال الدوق في صوت رقيق :

- إنني اعلم يا "سونيا" انك صادقة فيما تقولين .

فتنفست الصعداء وقالت :

- إنني اعلم انك تشفق علي ولكنك في الوقت ذاته - تحتقرني . نعم إنك تحتقرني .

- انت مخطئة في هذا . إنني لا احتقرك وإني افهم تماما البواعث التي دفعتك إلى ما فعلت .

فصاحت "سونيا" في انفعال :

- اسمع . الم تعذبك الوحدة مرة في حياتك ؟ هل جربت الجوع ؟ هل كابدت البؤس ؟

إنني جئت يوما إلى هذه المدينة العظيمة فتعذبت وكابدت وقاسيت ذقت الفقر والحرمان والجوع والوحدة أنظر في واجهات الحوانيت فارى أمامي الخبز واللحم ومع ذلك لا أستطيع ان امد إليه يدا وإلا سجنت !

وفي أحد الايام كاد الجوع يقتلني . وكنت ارى الخبز أمامي فلا امسه وخرجت اطوف الشوارع والطرقات هائمة على وجهي والجوع يمزق احشائي . وقد كدت أفقد الوعي .

وفي الطريق لقيت رجلا يبحث عن امراة يمضي معها سهرته فذهبت في رفقته .

وامسكت عن الحديث وقد احمر وجهها . فقال الدوق :

- استمري .

- قدم إلي الرجل طعاما وشرابا . واسعدني أن آكل ما تشتهيه نفسي ولما اراد أن يعانقني أثار اشمئزازي واستولى علي الذعر ودفعته عن صدري فسقط على الأرض مغميا عليه لكثرة ما تناول من شراب .. فاغتنمت الفرصة وسرقت نقوده وفررت هاربة .

نعم . لقد آثرت السجن على أن ابيع عرضي ، وهكذا رحت اسرق كلما مزق الجوع احشائي ! لقد سرقت لأظل امرأة شريفة.

ثم هزت كتفيها في يأس وقالت :

- أما الآن فرحت أسرق لأصبح جميلة رحت أسرق لأتحلى بالجواهر.

فقال الدوق في صوت رقيق :

- يا لك من طفلة مسكينة !!

فانفجرت "سونيا" تبكي وقالت في صوت يفيض حزنا :

- إنك بالتاكيد لا تفهم ما اقول لأنك لم تكابد هذه الحياة التي اقصها عليك . حياة الجوع والحرمان .

فنظر إليها في عطف عميق وقال :

- يا عزيزتي "سونيا" اعلمي انني فهمت وصفحت .

وسري عنها ومسحت عبراتها وابتسمت من خلال دموعها واقترب منها الدوق وأراد أن يأخذ بيدها بين كفيه ولكنه سمع حركة ناحية الباب فقال همسا :

- جففي عبراتك وقع أقدام عند الباب .

وما كادت تفعل حتى دخل "جوشار" فسار نحوهما وهو ينقل نظراته بينهما في استغراب فابتدره الدوق لكي يقطع عليه خواطره بقوله :

- ارجو الا يكون اللصوص قد ظفروا بالتاج يا مسيو "جوشار"؟

- لقد وجدناه في مكانه يا صاحب السمو .

- وهدايا العرس ؟

- لم يمسسها سوء أيضا .

- هذا من حسن الحظ .

والتفت "جوشار" إلى "سونيا" وقال :

- كنت ابحث عنك يا سيدتي لأبلغك أن مسيو "فورمري" عاد فحظر عليك الخروج .

إن الخروج محظور على الجميع .

فقالت "سونيا" في غير اكتراث :

- حقا ؟

- ويجب أن تلزمي غرفتك ولا تبرحيها وسيرسل إليك الطعام فيها .

فصاحت في ذعر .

- ماذا تقول ؟

وراحت تنظر إلى الدوق فابتسم لها في عطف فقالت :

- حسنا سالزم غرفتي .

ولما انصرفت قال الدوق مخاطبا "جوشار" :

- هذه قسوة منكم . إنها لا تعدو أن تكون طفلة .

- إنني آسف يا سيدي الدوق ولكن واجبي يحتم علي أن اتخذ كل حيطة ممكنة .

- هذا شانك بالتاكيد ولكنك كدت تقتلها رعبا .

وانصرف "جوشار" على حين أشعل الدوق سيجارة ومضى يدخن .

فتح الباب في عنف ودخل مسيو "جورناي مارتان" وهو يصيح في غضب :

- انظروا . انظروا ! هذه برقية من "لوبين" ، برقية من هذا الوغد !

وراح يتلو في صوت مرتفع :

"معذرة عن عدم وفائي بوعدي بشان التاج . كنت مرتبطا بموعد مهم فلم استطع الحضور بنفسي لكي آخذ التاج . فارجو أن تضعه الليلة في مخدعك ، وساحضر في الساعة العاشرة ليلا لكي آخذه . فإلى اللقاء "ارسين لوبين" .

ولما فرغ مسيو "مارتان" من تلاوة البرقية قال الدوق :

- هذه دعابة سخيفة .

- دعابة ؟ إنك تصف كل شيء بانه دعابة . وتناول مسيو "فورمري" البرقية ونظر فيها وهو يقول :

- بعد هذا يستحيل علينا ان نقنع "جوشار" بانه لادخل لـ"ارسين لوبين" في هذه الحوادث ولكني مازلت عند رايي الأول وهو ان "ارسين لوبين" ما كان ليرتد عن هذه الخزانة خصوصا أن في داخلها مفتاح خزانة المخدع ! لا أيها السادة إن "لوبين" ليس هو الذي سطا على القصر بالأمس .

وتقدم من الخزانة وأدار مقبضها بضع مرات ليثبت للحاضرين أنها سليمة لم يقربها أحد .

وقال المفتش مؤمنا على عادته :

- هذا صحيح .

- وهذه البرقية ليست إلا مزاحا . فإذا كان "لوبين" قد عجز بالأمس عن سرقة التاج فهل يستطيع اليوم والمنزل غاص بالجنود؟ ولكن "جوشار" رجل تسلط عليه الوهم ، وأمسك عن الكلام بغتة . واتسعت حدقتاه دهشة ورعبا فقد رأى باب الخزانة يفتح من تلقاء نفسه ثم رأى "جوشار" يخرج من داخلها .

وصاح مسيو "فورمري" وهو لا يصدق ما ترى عيناه :

- ما هذا ؟ ما هذا ؟

فابتسم "جوشار" وقال :

- لقد كنت أظن أن جدران هذه الخزانة من السمك حتى يحول ذلك دون سماع الصوت ولكني سمعت كل حديثك وأنا في داخلها .

- ولكن كيف دخلتها ؟

- وهل تعتقد أن دخولها عسير إلى هذا الحد ؟

فصاح مسيو "فورمري" وهو أشبه بالمجانين :

- ولكن كيف استطعت أن تدخلها ؟

فأشار "جوشار" أمامه بإصبعه وقال :

- أترى هذا الباب ؟ ..

لقد وضعت الخزانة لتسده وتحجبه عن الأنظار .. فما كان مني إلا أن فتحت هذا الباب ودخلت إلى الخزانة .

فصاح مسيو "فورمري" :

- ماذا تعني .. دع المزاح .

- إنني لا أمزح ولكن اللصوص نزعوا ظهر الخزانة نزعا . نعم إن للخزانة الآن بابا وسقفا وجدراين ولكن ليس لها ظهر.. هناك خزائن ذات ظهر غير متين ولهذا جرت العادة على أن تسند الخزائن إلي الجدران وليس إلى الأبواب ! وقد فتح اللصوص الباب المسندة إليه الخزانة فبان لهم ظهرها فانتزعوه من مكانه وحطموه .

فصاح المليونير :

- والمفتاح ؟ أين مفتاح خزانة المخدع ؟

فاتبسم "جوشار" وقال :

- إنني لم أجد المفتاح ولكنني وجدت ما هو خير منه .

- ماذا وجدت ؟

فابتسم "جوشار" وقال في صوت هادئ :

- وجدت بطاقة "أرسين لوبين" !!

الفصل الرابع عشر

كانت نظرة الحاضرين إلي البطاقة تدل على الدهشة عدا مسيو "فورمري" الذي دلت نظراته على الاستخفاف و قال :

– هذه البطاقة ما وضعت هنا إلا لتضليلنا .. إنها لا يمكن ان تتخذ دليلا على شيء .

فقال "جوشار" في هدوء :

– بالتاكيد إنها ليست دليلا على شيء .

فصاح مسيو "مارتان" :

– وهل نسيتم البرقية التي توعدني فيها بسرقة التاج ؟

فقال مسيو "فورمري" :

– لن يسرق التاج يا سيدي فسنتخذ كل حيطة ممكنة .

ودخل الخادم يدعوهم إلى الطعام فقال مسيو "فورمري" :

– وإذا ما فرغنا منه استجوبنا الآنسة "سونيا" عن السرقات القديمة .

فقال الدوق :

– و ما شانها هي بهذه السرقات ؟

– هذا رأيي يا سيدي الدوق ولكن "جوشار" يصر على استجوابها .

– الحق انكم اثرتم رعبها بلاداع ..

– ثق يا سيدي بانني ساكون رقيقا في استجوابها .

ولما فرغوا من الطعام أسرع "جوشار" إلي مغادرة القاعة فمضى الدوق في اثره وقال له :

– يسرني يا مسيو "جوشار" أن أتابع أبحاثك .

فقال "جوشار" :

– يسرني أن ارى منك هذه العناية .يا سيدي الدوق .

دخلا إلى قاعة الاستقبال وأغلق "جوشار" الباب وهو يقول :

– ارجو الا يزعجنا مسيو "فورمري" بالقدوم عاجلا حتى افرغ من بحث مسالة مازالت غامضة علي .. نعم اريد أن اعرف كيف أخرج اللصوص المسروقات من البيت ؟

فاشار الدوق إلى النافذة وقال:

- أظن انكم اتفقتم على انهم دخلوا وخرجوا بواسطة هذه النافذة .

فهز "جوشار" راسه نفيا وقال :

- هذه نظرية سخيفة ادلى بها مسيو "فورمري" اما انا فاعتقد ان هذا السلم ما اسند إلى النافذة إلا على سبيل التضليل ولم يستعمله اللصوص لا في دخولهم ولا في خروجهم .

- إذن ما رايك في طابع القدم الملوثة بالجير الذي كان هذا الكتاب يخفيه تحته ؟

فابتسم "جوشار" وقال :

- أثر مزيف . إنني أعتقد ان أحد اللصوص جلس على هذا المقعد ولوث حذاءه بالجير ثم داس الأرض ، وبعد ذلك مسح عن حذائه الجير ووضع الكتاب عمدا فوق الأثر حتى لا يمحى ويظل باقيا إلى حين حضوري .

فقال الدوق في استغراب :

- هذا راي غريب ولكن كيف خطرت لك هذه النظرية ؟

- الأمر يسير جدا . فإن المسروقات ثقيلة ولا يمكن نقلها إلا بواسطة عدد كبير من اللصوص . فإذا كانوا قد جاءوا عن طريق البناية وتلوثت احذيتهم بالجير فلا ريب أن ذرات الجير ستظل عالقة بالبساط مهما حاولوا ان يزيلوها ويكنسوها ، وقد فحصت البساط بواسطة عدستي المكبرة فلم أجد به اي اثر للجير وهذا دليل على أن طابع القدم صنع عمدا وترك عمدا ليضلل قاضي التحقيق .

فهز الدوق رأسه وقال :

- هذا راي معقول جدا .

- والآن نعود إلى مسالتنا الأولي : كيف أخرج اللصوص المسروقات من البيت ؟ بطبيعة الحال لم يستعملوا السلم الخشبي كما ذكرت ولم يستعملوا سلم البيت والباب العمومي وإلا كان من المحقق أن يسمع البواب جلبتهم عند الدخول والخروج . هذا إلى أن المارة لا يكادون ينقطعون من الطريق العام لحظة واحدة ، فإذا ما رأو المركبة والمنقولات بادروا إلى إخطار البوليس لأنهم يعلمون أن هذا البيت خال فليس

لدينا بعد ذلك إلا منفذ واحد .

فصاح الدوق :

- أتقصد مدخنة المدفأة ؟

- تماما والشيء الذي يحيرني هو إلقاء "فيكتوار" أمام مدخل المدفاة والباعث الذي حمل اللصوص على تخديرها من المحتمل جدا انهم أرادوا أن ينبهوني إلى الطريق الذي سلكوه .

فبدت دلائل الدهشة في وجه الدوق وقال :

- أرادوا أن ينبهوك ؟ ماذا تعني ؟

- أعني أن هذا هو أسلوب "أرسين لوبين" في معاملتي فإن هذا الرجل على الرغم من العدواة المستحكمة بيننا ، يحبني ويحب أن يداعبني ولذلك تراه يترك وراءه آثارا مضللة يعلم انها كفيلة بان تخدع مسيو "فورمري" وأمثاله ولكنه في الوقت ذاته يترك آثارا أخرى حقيقية وهو يعلم ان مسيو "فورمري" لن يدرك خطورتها ولا دلالتها ولكنه يتعمد أن يتركها خصيصا لأجلي لأنه يعرف أنني ساتبين مرماها!!

ومن هذه الآثار الحقيقية مسالة "فيكتوار" ووضعها امام المدخنة.. والآن هيا بنا نفحص المدخنة .

تقدم "جوشار" إلى المدخنة ونظر في داخلها ثم قال :

- إنها أعلى مما كنت أعتقد ، إن ارتفاعها أكثر من ثلاثة أمتار.

وكانت المدخنة مبنية داخل الجدار وعرضها نحو ثمانية اقدام .. فاتي "جوشار" بسلم خشبي وضعه داخلها وارتقاه .

وقد أضاء مصباحه الكهربي فلاح له في داخل المدخنة فجوة كبيرة تسدها قوالب من الحجارة رصت في غير عناية فقال :

- إنني سازيل هذه القوالب لأفتح الفجوة مرة أخرى

فارجوك يا سيدي الدوق أن تتنحى قليلا خشية أن تسقط فوقك.

وراح "جوشار" يرفع الحجارة قالبا بعد قالب حتى انكشفت عن الثغرة التي احدثها اللصوص في الجدار الذي يفصل قصر مسيو "مارتان" عن البيت المجاور ثم وثب إلى داخل هذا البيت وهوينادي الدوق بان يتبعه .

قال الدوق وقد وثب خلفه إلى البيت المجاور :

- يالها من حيلة تدل على الدهاء .

فقال "جوشار" :

- ليست هذه أول مرة يعمد فيها اللصوص إلى مثل هذه الحيلة ، فإنهم عندما ينوون السطو على أحد متاجر الجواهر يستأجرون متجرا مجاورا أو مسكنا فوق المتجر ثم يثقبون الجدار أو الأرضية وينفذون منها إلى محل الجوهري

ثم ضرب كفا بكف وقال :

- ها لقد .. ارتكبت غلطة .

كان ينبغي أن أكون حذرا وأنا أزيل هذه الحجارة من مكانها حتى لا أفسد ما بها من آثار .

وأخذ من جديد يضعها على الأرض بعناية والدوق يساعده ، فلما انتهى من ذلك عثر تحتها على قطعة من إطار إحدى الصور فقال :

- هذا الأثر قرينة تدعم نظريتي في أن المسروقات نقلت بهذه الطريقة.

فصاح الدوق :

- وما يدريك أننا قد نجد المسروقات مازالت في هذا البيت .

- لا أظن ذلك . فإن "لوبين" يعرف أني أنا الذي سأتولى هذه القضية أو زميلي "جانيمار" و إنه من المؤكد أننا سنكتشف هذا الطريق السري فمحال أن يبقي المسروقات في الدار .

طاف "جوشار" بغرف البيت ثم هبط السلم ثم انحنى فتناول باقة صغيرة من الزهر كانت ملقاة على السلم وقال :

- أزهار نضرة .. لاريب أنها قطفت حديثا .

فقال الدوق :

- إنها أزهار "السليفيا" .

- نعم . أزهار "السليفيا" القرمزية وليس في فرنسا كلها من استطاع أن ينبت هذا النوع غير بستاني واحد هو ذلك الذي يستخدمه مسيو "جورناي مارتان" .

فقال الدوق :

- هذا يثبت أن اللصوص حضروا من قصر "دي شارميراس" .

- هذا ما توحي به الظواهر .
- لا ريب إذن أن هؤلاء اللصوص هم "كاروليه" وأبناؤه فقد كانوا في الحديقة يتفرجون على السيارة .
فلم يزد "جوشار" على أن قال :
- ربما .
أخرج الدوق علبة سجائره وتناول سيجارة منها وهو يقول :
- هذه الأبحاث مثيرة جدا . ظلام دامس ثم تبدأ الآثار تنكشف لك وتنير الطريق المظلم . ما الذ مهنتك ! هل لك في التدخين ؟
- ما نوعها ؟ "كابورال" ؟
- لا . إنها "ميرسيه" .
- شكرا .
اشعل "جوشار" سيجارته واستطرد الدوق :
- إنك شرطي بارع يا مسيو "جوشار" ففي خلال ربع الساعة استطعت ان تكشف اشياء لها خطورتها فعرفت مثلا أن اللصوص أتوا من "دي شارميراس" وانهم "كاروليه" وأبناؤه وانهم دخلوا القصر من هذا البيت واخرجوا المسروقات من نفس الطريق .
فقال "جوشار" :
- إنني لا اشك في أنهم نقلوا المسروقات من خلال هذه الفجوة، ولكني أستبعد دخولهم إلى القصر من خلال الفجوة أيضا ..
واعتقد أنهم دخلوا من الباب العمومي للقصر ذاته .
- فقال الدوق :
- أصبت فقد كدت أنسى حلقة المفاتيح التي سرقوها من "دي شارميراس"
- ولقد أخبرني البواب أنه ثبت المزاليج خلف الباب فمن الذي رفعها إذن؟
فقال الدوق :
- لاريب أن لهم شركاء داخل البيت نفسه .
فابتسم "جوشار" وقال :
- هذا لا ريب فيه . وسموكم كما أرى بارع في الاستنتاج . فلا يعوزك

إلا قليل من المران لكي تصبح منافسا خطرا لنا . والآن هيا بنا نرجع إلى القصر من نفس الطريق .

وحين وثبا إلى القاعة من خلال المدخنة سمعا طرقات عنيفة على الباب وصوت مسيو "فورمري" وهو يصيح :

- "جوشار" . ماذا تفعل ؟ افتح الباب لماذا لا تجيب ؟.. افتح الباب.

أسرع "جوشار" يفتح الباب فدخل مسيو "فورمري" وهو يرغي ويزبد ويقول :

- اين كنت ؟

فلم يزد "جوشار" على أن قال في هدوء :

- كنت أتعقب الأثر الحقيقي .

الفصل الخامس عشر

قال مسيو "فورمري" في استغراب :

- الأثر الحقيقي ؟ ماذا تعني ؟

- تعال معي لأريك .

ادخله في المدخنة وأراه الفجوة ثم هبط به في البيت المجاور .

أما الدوق "دي شارميراس" فمضى إلى مخدع مسيو "مارتان" فالفاه راقدا على فراشه واليأس باد على وجهه . وما إن رآه المليونير حتى هتف به :

- هذه هي الضربة الساحقة .. لقد سرق مني التاج أيضا .

فصاح الدوق في دهشة :

- ماذا تقول ؟ هل سرقوا التاج ؟

- إنه لم يسرق حتى الآن ولكن لاريب انه سيسرق فإن "ارسين لوبين" لا يخلف وعده . إنه مازال حتى الآن في هذه الخزانة ولكني اعرف مصيره المحتوم .

فابتسم الدوق وقال :

- مادام في هذه الخزانة فلن يجسر "لوبين" على سرقته ولكن اموقن أنت من انه في هذه الخزانة حقا ؟

- بالتاكيد .. وهاك المفتاح فانظر بنفسك .

وفتح الدوق الخزانة فرأى العلبة الجلدية التي في داخلها التاج فنظر إلى المليونير فالفاه مغمضا عينيه إعياء ففتح العلبة واخرج منها التاج وفحصه في عناية وإعجاب ثم أعاده إلى مكانه والتفت إلى المليونير وقال :

- إنني اعتقد انه خير لهذه التيجان الاثرية أن تعاد صياغتها على الطريقة العصرية .. فهذه اللؤلؤة مثلا نادرة ولكن طريقة قطعها وصقلها يفسدان جمالها .

فقال المليونير :

- إن من الغباء تغيير معالم هذه التحف الاثرية وإلا فقدت قيمتها

التاريخية .

- ولكنها بذلك تزداد جمالا .

- ربما . ولكني أرى أن لك آراء جنونية في بعض الأحيان .

واعاد الدوق العلبة إلى مكانها في الخزانة واغلقها ورد المفتاح إلى صاحبه ثم وقف في النافذة برهة وهو يصفر لحنا خافتا .

وبعد فترة وجيزة قال :

- إني خارج لأبدل ثيابي إذ لا يسعني ان ابقى طوال النهار في ثوب قيادة السيارات .

فانتصب مسيو "مارتان" جالسا في فراشه وهو يصيح : بالله عليك لا تبتعد عني في هذا الوقت الحرج .

- ولكن "جوشار" قائم إلى جوارك يحرسك مع نفر من أبرع رجاله .. ! ومع ذلك فلن أتغيب أكثر من نصف ساعة .

ثم ترك الغرفة فلما بلغ الباب الخارجي اعترض الشرطي طريقه وقال:

- هل معك يا سيدي تصريح بالخروج من مسيو "جوشار" ؟

فقال الدوق في غضب :

- وما شاني انا بـ "جوشار" ؟ إنني الدوق "دي شارميراس" فبانت الحيرة في وجة الشرطي وقال :

- هذه أوامر مسيو "فورمري" يا صاحب السمو .

فقال الدوق في استخفاف :

- أوامر مسيو "فورمري" ؟ أرجوك إذن أن تستدعي إحدى السيارات الأجرة .

وأسرع البواب يدعو سيارة الأجرة ، وبعد أقل من ساعة رجع الدوق ثانية إلى القصر وقد ابدل ثيابه .

وعند عودته وجد "جوشار" و "فورمري" في قاعة الاستقبال فراح القاضي يحدثه بآرائه في هذه القضية والدوق شارد الذهن إذ كان يفكر في "سونيا" و ما يمكن أن يسفر عنه الموقف حين يستجوبها "جوشار" . إذ كان يخشى أن يستدرجها "جوشار" فتعترف بسرقاتها القديمة .

اتصل "جوشار" تليفونيا بقصر "دي شارميراس" وقال :

- قصر "دي شارميراس" ؟! حسنا .. أريد أن أخاطب البستاني .

خرج؟ متى يعود ؟ إذا رجع فاطلبوا إليه ان يتصل بقصر مسيو "مارتان" في "باريس" إنني المفتش "جوشار" .

ورد "جوشار" سماعة التليفون مكانها ثم التفت إلي مفتش البوليس وقال :

– ما الذي قرره الطبيب بشان "فيكتوار" ؟

– لقد قرر أنها لن تستفيق من أثر المخدر إلا في نحو الساعة العاشرة.

فقال "جوشار" :

– يمكننا الآن ان نستجوب "سونيا" .

فقال الدوق :

– ما هذا الاهتمام العجيب بهذه الطفلة المسكينة ؟!

فقال قاضي التحقيق :

– وهذا رايي انا ايضا يا سيدي الدوق .

فقال "جوشار" :

– اما أنا فعلى النقيض أعلق على استجوابها أهمية كبيرة فارجوك أن تستدعيها يا حضرة المفتش .

ولما انصرف المفتش نظر "جوشار" إلى الدوق في ارتباك وقال:

– اظن انه يحسن بنا ان نستجوبها على انفراد .

فبانت الحيرة على وجه مسيو "فورمري" وحك ذقنه بيده وقال :

– أه . بالتاكيد على انفراد .

فنهض الدوق واقفا وقال :

– أه .. بالتاكيد .

ومشى إلى الباب ولكن "جوشار" ناداه غير ان الدوق تجاهل هذا النداء إذ كان يعلم أن "جوشار" يريد أن يستبقيه حتى تحضر "سونيا" فيحول دون اتصاله بها خارج القاعة .

والتقى الدوق مع "سونيا" وهي تهبط الدرج في رفقة المفتش فقال لها في عطف وحنان :

– لا تخافي يا آنسة "سونيا" فليس مطلوب منك إلا أن تتذكري الظروف التي لابست هذه السرقات القديمة التي وقعت في قصر "دي

شارميراس" فكوني هادئة ولا ترتبكي .
فقالت الفتاة :
- إنني اشكر سموك على هذه النصيحة ومضى الدوق إلى مخدع مسيو "مارتان" فلم يسمع جوابا على طرقه ففتح الباب ودخل فالفى المليونير مستغرقا في النوم فجلس بالقرب من النافذة وقد ترك الباب مواربا حتى يستطيع أن يرقب الدرج .
وبعد نصف ساعة حسبها دهرا رأى "سونيا" تصعد الدرج وفي رفقتها المفتش فخرج من المخدع والتقى بهما على رأس الدرج وقال يخاطب الفتاة :
- ارجو ان يكون هذا الاستجواب قد مر بسلام فلم يزعجك شيء .
وكانت "سونيا" شاحبة مضطربة فصاحت في يأس :
- كان الموقف فظيعا قاسيا لقد صدقني مسيو "فورمري" أما هذا الشيطان "جوشار" فلم يصدق حرفا مما قلت .
لقد اربكني فلم أعد أدري ما قلت .
فقال الدوق في غضب :
- على أية حال انتهى كل شيء الآن فالزمي فراشك واستردي هدوءك وسامر أحد الخدم بأن يحمل إليك قدحا من الشراب .
وإذ هبط إلى القاعة وجد مسيو "فورمري" يناول "جوشار" ورقة فرغ من كتابتها فقراها هذا في ارتياح ثم دسها في جيبه .
وقال الدوق في تهكم :
- عسى أن تكون "سونيا" قد حلت لك هذا اللغز يا مسيو "فورمري" .
- إنني موقن بانها لا تعرف شيئا عن هذه الحوادث ،اما "جوشار" فيخالفني في هذا الراي ، ولكنه مع ذلك مقتنع بان لا صلة بينها وبين "ارسين لوبين" .
فقال "جوشار" في تؤدة :
- هذا ما توحي به الظواهر ولكن من يدري ؟!
فقال الدوق :
- اتظن إذن أن لها صلة بـ "لوبين"؟
فقال القاضي :

- إن "جوشار" كما تعلم يرى لـ "لوبين" إصبعا في كل شيء .

فقال "جوشار" في هدوء :

- والسرقات القديمة ؟

فقال مسيو "فورمري" :

- وما دليلك على صحة هذه التهمة التي توجهها إليها ؟! لا انكر ان السرقات بدات عقب التحاقها بخدمة مسيو "مارتان" ولكن ما يدريك ان الأمر كان مصادفة محضة ؟ ومع ذلك فقد انقضت اعوام منذ وقعت هذه السرقات .

ومن المستحيل الآن إثبات التهمة .

- والعقد الذي سرق بالأمس ؟ إنني واثق بانه مازال موجوداً في هذا القصر . .

فصاح الدوق في غضب :

- اللعنة على هذا العقد لقد تمنيت لو اني لم اهده إلى الآنسة "جرمين" .

فغمغم "جوشار" في صوت خافت كمن يخاطب نفسه :

- لو اني قبضت على من سرق هذا العقد لأمطت اللثام عن كل اسرار هذا اللغز .

الفصل السادس عشر

بعد سكتة قصيرة قال الدوق "دي شارميراس" :

- مسيو "فورمزي" . لقد أراد الشرطي الواقف بالباب أن يعترضني عندما أردت أن أذهب لأبدل ثيابي ولكني لم أحفل باعتراضه إذ لاشك أن مسيو "جوشار" لا يقصدني بأوامره .

فقال القاضي على عجل :

- إنه لا يقصدك بالتأكيد .

فقال "جوشار" :

- لقد لاحظت أنك غيرت ثيابك ولكني ظننت إنك فعلت هذا هنا .

- بل في بيتي .

و بعد سكتة أخرى قال الدوق :

- إنك تعتقد يا مسيو "جوشار" أنه لابد أن يكون للصوص شريك داخل هذا البيت رفع لهم مزلاج هذا الباب ولكن أما كان بوسعهم أن يرسلوا أحد رجالهم من خلال هذه الفجوة فيرفع المزلاج لهم ؟

فقال القاضي متهكما :

- بالتأكيد . هذا جلي وطبيعي .

فقال "جوشار" :

- إنهم أحدثوا هذه الفجوة في أثناء وجودهم في القصر ولو أنهم أحدثوها في أثناء وجودهم في البيت لكان محتملا أن يسقط حجر داخل المدخنة فينبه البواب .

فقال مسيو "فورمري" :

- ربما كنت على صواب ولكن ليت شعري من هم هؤلاء الشركاء .

- عندما تستفيق "فيكتوار" من إغمائها سنعرف كل شيء عن هؤلاء الشركاء .

- ولكنك تعلم أن مسيو "مارتان" يثق بها ثقة عمياء .

- وكذلك "لوبين" يثق بها ثقة عمياء .

فضحك قاضي التحقيق وقال :

- دائما "لوبين" ؟ ؟! دائما "لوبين" ؟!

وقضوا فترة طويلة وهم ينتظرون ورود تقارير رجال الشرطة الذين كانوا يتحرون عن المركبة التي نقلت المسروقات أو يبحثون عن السيارتين المسروقتين . وأخيرا رأى مسيو "جوشار" أن يغادر القصر على أن يعود في منتصف الساعة الثامنة مساء إذ كان على موعد مهم .

ولكن مسيو "جوشار" لم يرجع في الموعد الذي حدده فاضطر مسيو "فورمري" أن يغادر القصر إذ لم يكن يسعه أن يتخلف عن موعده .

وكان مسيو "جورناي مارتان" قد دعا إلى العشاء نفرا من أصحابه ولكنه استقبلهم عابسا وراح يحدثهم عن تحفه ونفائسه التي سرقت منه وعن ذلك التاج الذي أوشك أن يسرق منه .

وحين سمع الدوق بقدوم "جوشار" مضى إلى مقابلته في قاعة الاستقبال وقال له :

- عسى أن يكون رجالك قد عرفوا الشوارع التي سار فيها اللصوص بمسروقاتهم ؟

- بكل أسف لم نهتد إلى أي أثر للمركبة وذلك رغم تحرياتنا الدقيقة .

- وهل ينوي مسيو "فورمري" أن يرجع الليلة ؟

- لا . فإنني أنا الذي سأتولى الليلة إدارة الدفة بمعونة بعض من أثق بهم من الرجال .

وجاء مساعده "بونافنت" في هذه اللحظة يخطره بأن "فيكتوار" قد أفاقت .

- احضرها إذن .

فقال الدوق :

- إظنك تنوي أن تستجوبها على انفراد ؟

- كلا . بل يمكنك أن تحضر هذا الاستجواب إن أردت .

فقال الدوق :

- إن مسيو "فورمري" يعتقد أن "فيكتوار" امرأة ساذجة .

فابتسم "جوشار" وقال :

- ليس في هذه القضية إلا شخص واحد هو الساذج .

- ومن يكون ؟

- مسيو "فورمري" بالتاكيد :

- عاد "بونافنت" وفي رفقته "فيكتوار" التي قالت :

- لقد أبى علي هذا الرجل أن أبدل ثيابي يا سيدي المفتش يالهؤلاء الوحوش . لقد أوثقوني منذ ساعات ونشقوني المخدر . إنهم وحوش ذوو وجوه قبيحة .

- وكم كان عددهم يا مدام "فيكتوار":

- عشرات . عشرات وكان البيت مملوءا بهم . لقد سمعت حركة في هذا الطابق فلما هبطت اتبين ما حدث انقض علي احدهم وكاد يخنقني

فقال "جوشار" :

- صدقت . إنهم وحوش ذوو وجوه قبيحة إذن فقد رايت وجوههم يا مدام "فيكتوار" ؟

- لا .. لقد كانوا مقنعين .

- إن في سقف مخدعك كوة ، اليس كذلك ؟

- بلى .

- وكنت في مخدعك حين سمعت الضجة ؟

- تماما .

- وهل كانت هذه الضجة فوق السقف ؟

- لا بالتاكيد بل كانت الضجة هنا .

- وبالتاكيد نزلت لتتبيني ما حدث فانقضوا عليك واتوا بك إلى هذه القاعة ؟

- تماما . هذا هو ما حدث .

- وأين كمموك وأوثقوك ؟ في هذه القاعة ام في الردهة ؟

- أمسكوني في الردهة ولكنهم أوثقوني هنا .

– وبالتاكيد لا يمكن أن يقوم بهذا العمل شخص واحد
– لا بل هاجمني أربعة منهم .
– والباقون ؟ هل وقفوا مكتوفي الأيدي يتفرجون .
– لا . بل كانوا منهمكين في العمل .
– أي عمل يا ترى ؟
– كانوا ينزعون الصور من فوق الجدران ويخرجون بها من النافذة ويهبطون على السلم الخشبي .

فقال "جوشار" :

– هل لك أن تصفي لي بالضبط ما حدث هل كان الرجل الذي ينتزع الصور من فوق الجدار يهبط بها بنفسه ام يعطيها لزميل له يقف على السلم في انتظاره ؟

ففكرت "فيكتوار" برهة ثم قالت :

– لا . كان يهبط بها السلم بنفسه .
– امتاكدة انت من هذا ؟
– تماما . إذ ليس هناك ما يدعوني إلى الكذب عليك .

ولكن وجهها كان يدل على الانزعاج .

وقال "جوشار" :

– بالتاكيد ليس هناك ما يدعوك إلي الكذب ؟؟ ولكن اين كنت ؟
– لقد وضعوني وراء حاجز النيران .
– لا اقصد هذا : بل اقصد اين كنت عندما دخلوا الغرفة ؟
– كنت بالقرب من الباب .
– وهل كان الحاجز موضوعا إذ ذاك أمام المدفاة ؟
– لا . بل كان موضوعا إلى يسارها .
– أيمكنك أن تحددي لي مكانه بالضبط ؟

فازاحت "فيكتوار" الحاجز ووضعته إلى شمال المدفاة ..

وقال "جوشار" :

– إن للأمر عندي اهمية كبيرة واريد ان اعرف موضع قوائم الحاجز

بالضبط ويحسن بنا زيادة في التاكد ان نضع علامة عند موضع كل قائمة . إنني أريد قطعة من الطباشير .. اخبر يني يا مدام "فيكتوار" . هل من عادتك أن تخيطي الثياب أحيانا؟.

- نعم .. إنني أخيط الثياب للخادمات في أوقات فراغي .

- لاشك أن معك إذن قطعة من الطباشير ؟

- بالتاكيد .

دست يدها في جيبها على عجل . ولكنها لم تلبث أن قطبت جبينها وتراجعت خطوة إلى الوراء وقد بان القلق على وجهها وقالت في تلعثم:

- طباشير أوه لا . ليس لدي طباشير لقد فرغ بالأمس كل ما كان معي.

فقال "جوشار" في خشونة :

- لا أظن ذلك يا مدام "فيكتوار" ابحثي في جيبك فإنني أعلم انه مازالت معك قطعة من الطباشير .

فصاحت المرأة في انزعاج :

- لا . ليس معي طباشير مطلقا . ليس معي طباشير .

فقفز "جوشار" وامسك بذراعيها ثم دس يده الأخرى في جيبها واخرج قطعة من الطباشير الأزرق و هو يقول :

- ما هذا ؟

فاستعادت "فيكتوار" ثباتها وقالت :

- طباشير . فهل هي جريمة أن تحمل امرأة شريفة قطعة طباشير ؟

فقال "جوشار" في صرامة :

- هذه مسالة متروك بتها لقاضي التحقيق .

ثم نادى مساعده "بونافنت" وقال له :

- عندما تصل عربة السجن أرسل فيها هذه المرأة .

فصاحت "فيكتوار" :

- ولكني بريئة لم ارتكب إثما . !

- يمكنك أن تذكري هذا لقاضي التحقيق . .

الفصل السابع عشر

التفت "جوشار" إلى الدوق بعد خروج "فيكتوار" وقال :

– أرأيت ؟ أهذه هي المرأة البريئة الساذجة التي يحدثنا عنها مسيو "فورمزي"

فقال الدوق :

– ولكني لم أفهم حكاية الطباشير .

– إنه أزرق اللون . أي أنه من نفس النوع الذي كتب به "أرسين لوبين" إمضاءاته على الجدران فإذا تذكرت خوفها وإنكارها وجود الطباشير معها كان ذلك دليلا على أن هذه الإمضاءات إنما كتبت بنفس هذا الطباشير .

– هذا غريب فإنها في الواقع تبدو في منتهى السذاجة ولا يمكن أن يخطر بالبال أنها قد تشترك في إحدى الجرائم .

فقال "جوشار" :

– هذا لأنك لست خبيرا بأساليب "أرسين لوبين" يا صاحب السمو فإنه يستطيع أن يغري بمساعدته حتى الناسكات الزاهدات.

– ولكنها نذالة منه أن يستغل سذاجة هذه المرأة ويوقعها في التهلكة.

– ولكنه لا يوقع شركاءه في المهالك ، فهذه المرأة أول شريكة من شريكاته وقعت بين أيدينا .

وسار "جوشار" عبر الغرفة وأخرج بطاقة من جيب معطفه الموضوع على المقعد وقال يخاطب الدوق :

– يمكنك أن تبرز هذه البطاقة لرجالي عند الباب إذا ماأردت الخروج يا صاحب السمو . إنها مجرد رسميات ولكني لا أحب أن أستثني أحدا من الإجراءات التي أفرضها وإذا ما رأى الآخرون أنك أنت أيضا تحمل تصريحا لم يكن لهم أن يتذمروا .

فقال الدوق :

- لا مانع لدي مادمت بذلك أقدم معونة إليك .
- شكرا لك .
ثم كتب العبارة الآتية على البطاقة قبل أن يناولها للدوق :
"يسمح للدوق "دي شارميراس" بالخروج - "جوشار" .
وقرع الباب ودخل مساعده الآخر "ديوزي" وقال "
- لقد عرفت يا سيدي أن سيارة نقل شوهدت عند باب البيت المجاور اعني الشارع الجانبي .
- ومتى كان ذلك ؟
- فيما بين الرابعة والخامسة صباحا .
- ومن الذي رآها ؟
- الكناس وهو يعتقد انها غادرت مكانها في الساعة الخامسة .
- بين الرابعة والخامسة ، وفي الخامسة تقريبا !
إذن فقد سدوا الثغرة قبل نقل المسروقات . هذا ما ظننت . ألم تكتشف شيئا آخر ؟
- نعم ، فبعد أن تحركت السيارة ببضع دقائق غادر البيت رجل يرتدي الثياب الخاصة بقيادة السيارات .
فقال "جوشار" على عجل :
- الثياب الخاصة بقيادة السيارات ؟!
- بلى ، وقد رمى عقب سيجارته بالقرب من البيت وقد أثار هذا الحادث استغراب الكناس وقد التقط العقب واحتفظ به وها هوذا .
تناول "جوشار" العقب ونظر إليه وقال :
- سيجارة مذهبة من ماركة "ميرسيه" عجبا ! إنك تدخن هذا النوع يا صاحب السمو ؟
فقال الدوق :
- هذا غريب جدا .
- هذه يا سيدي الدوق حلقة أخرى من الحلقات المفقودة قد تكشف لي. لاشك أن لديك في قصر "دي شارميراس" كمية من هذه السجائر ؟

- بالتاكيد ففي كل غرفة تقريبا من غرف القصر علبة من هذا النوع .

- الأمر جلي إذن .

فقال الدوق :

- فهمت . تريد أن تقول إن "كاروليه" أخذ إحدى هذه العلب ؟

- بطبيعة الحال .

- لقد ظننت أن .

وامسك عن الكلام فقال "جوشار" :

- وماذا ظننت ؟

- المفهوم أن "لوبين" هو الذي تولى بنفسه هذه السرقة .

وما دمت قد وجدت أزهار "السليفيا" في البيت المجاور فهذا دليل على أن "لوبين" قد جاء من "دي شارميراس" .

- هذا مؤكد .

- و"لوبين" هو "كاروليه" .

- هذه مسالة أخرى .

فقال الدوق في لهجة حماسية :

- ولكنها مسالة مؤكدة أزهار "السليفيا" وعقب السيجارة .

فابتسم "جوشار" وقال :

- هذا جائز . الم اقل لك يا صاحب السمو إنك تصلح شرطيا سريا ! ومع ذلك فالأمر غير مؤكد ؟.

- كيف تقول هذا ؟ الم يكن "لوبين" بالامس في "دي شارميراس" ؟ اليس هو الذي دبر حادثة سرقة السيارتين ؟

- بلى هو الذي دبر الحادث ولكن من المحتمل أيضا انه لم يشترك فيه مباشرة .

الحق انه رجل عجيب .. صدقني انا اتمنى أن أراه .

فقال "جوشار" باسما :

- ستراه الليلة إذن .

فصاح الدوق :

- الليلة ؟

- نعم الليلة . عندما ياتي لسرقة تاج الأميرة "دي لامبال" .

فقال الدوق :

- لا أظنه مجنونا حتى يحضر .

فابتسم "جوشار" وقال :

- إنك لا تعرف "لوبين" كما أعرفه أنا يا صاحب السمو . إنه مزيج عجيب من البرود والجراءة والخطر هو الذي يفتنه ويستهويه . إنه يقذف بنفسه في النار ثم لا تحرقه ! وفي خلال الأعوام العشرة الماضية كنت لا انفك اقول لنفسي : "ها قد ظفرنا به هذه المرة !" ولكني لا البث أن أجده يفلت منا .. إنه شديد الدهاء وهو في الوقت ذاته محب للدعابة والمزاح . إن اللصوصية هذه ليست إلا فنا من الفنون الا تبا له.

فقال الدوق :

- ولكن هل تعتقد انه سيحضر الليلة ؟

- هذا لاشك فيه .

ثم التفت إلى مساعده "ديوزي" وقال يساله :

- وهل تعقب الكناس الرجل المرتدي ثياب السيارات بعد أن التقط عقب سيجارته ؟

- نعم . لقد سار نحو مائة خطوة حتى إذا بلغ شارع "سيرو" جاءت سيارة فركبها .

- وما نوعها ؟

- كبيرة الحجم ولونها أحمر غامق .

فصاح الدوق :

- إنها إحدى السيارات المسروقة .

ولما انصرف "ديوزي" قال "جوشار" :

- لقد اجتمعت لدينا حتى الآن معلومات مهمة .

- لا شك في ذلك .

وبعد فترة وجيزة جاءت الخادمة "إيرما" تخطر الدوق بأن الآنسة

"كريتشنوف" ترغب في الحديث إليه فقال :

- وأين هي ؟

- في مخدعها .

- حسنا . اخبريها انني انتظرها في قاعة المكتبة .

فقال "جوشار" :

- احب أن اذكر لسموكم شيئا قبل ذهابكم إلى مقابلتها . واخرج من جيبه ورقة اراها للدوق فلما قراها هذا قطب جبينه وقال لـ "إيرما" :

- اخبري الآنسة "كريتشنوف" أن معي زائراوانه لن ينصرف إلا بعد عشر دقائق .. بعد عشر دقائق . أفاهمة انت ؟

- نعم ، بعد عشر دقائق .

وقال "جوشار" مخاطبا "إيرما" :

- واسأليها أن ترتدي معطفها وقبعتها .

ولما انصرفت "إيرما" قال الدوق في غضب :

- ما معنى هذا ؟ ما الذي يدعوك إلى استصدار أمر باعتقالها؟

- عندما استجوبتها اليوم كانت اجوبتها متناقضة مضطربة تثير الشكوك .

- إذن فقد عولت على اعتقالها ؟

- هذا لا مفر منه . ومركبة السجن الآن في انتظارها لتحملها هي و "فيكتوار" .

فقال الدوق في شرود :

- مسكينة . إذن فلابد من اعتقالها ؟

فقال "جوشار" :

- الواقع اني أعطف على هذه الفتاة المسكينة . ولكني مضطر أن اؤدي واجبي .

فهز الدوق راسه وقال في صوت خافت كمن يخاطب نفسه :

- إنها جديرة بالشفقة . إنها طفلة ضلت طريقها في الحياة .. زلت بها القدم على غير وعي منها . المنديل الذي عثروا عليه ملقى في غرفة

البيت المجاور .. كان مسالة سخيفة .

فقال "جوشار" في دهشة :

– منديل ؟ ماذا تعني ؟

فقال الدوق :

–إنها طفلة حمقاء .

– ولكن ما الذي وجدوه في المنديل ؟ العقد ؟

– بالتاكيد . لقد ظننت انك علمت بهذه المسالة يا مسيو "جوشار" .

– لا . إنني لم أسمع بحادث المنديل إلا منك انت الآن .

– حقا . لقد ظننت أن مسيو "فورمري" ترك لك مذكرة .. إنك كنت غائبا عن البيت حين عثر قاضي التحقيق على المنديل ويظهر أنها خرجت من مخدعها خلسة ورمت المنديل في البيت المجاور .

فقال "جوشار" :

– ولكن اين المنديل ؟

– في مكانه في البيت المجاور لقد اكتفى مسيو "فورمري" باخذ العقد ولكنه ترك المنديل حيث كان .

فصاح "جوشار" :

– ترك المنديل . ياللحماقة ، إنه لا يصلح قاضيا للتحقيق بل يجب أن يكون راعيا للأغنام . وفي أية غرفة كان المنديل ؟

فقال الدوق :

– في الركن الأيسر من الغرفة اليمنى بالطابق الثاني . ولكن أية أهمية لهذا المنديل مادمت قد عولت على اعتقالها ؟

– فصاح "جوشار" :

– إنه الدليل الذي لا ينقض وساعرف كيف أحملها على الاعتراف بما فعلت . لقد استصدرت أمرا باعتقالها ولم يكن لدي إلا مجرد شبهات ... أما الآن فلدي الدليل القاطع .. إن إلقاءها المنديل في البيت المجاور دليل على أنها تعرف سر الفجوة أو بعبارة أخرى أنها شريكة لـ "أرسين لوبين" .

فصاح الدوق في جزع :

- رباه ما احمقني ! كيف أرشدتك إلى هذا الدليل ضد هذه المسكينة ؟

فقال "جوشار" :

- لقد اديت واجبك نحو الهيئة الاجتماعية يا صاحب السمو .

ونهض "جوشار" واقفا واضاء مصباحه الكهربي وسار إلى المدفاة .

فقال له الدوق :

- اتحب أن أرافقك ؟ إني أعرف مكان المنديل .

- لا . شكرا لك .

وما لبث "جوشار" أن توارى داخل المدفاة .

وانصت الدوق فلما سمع وقع قدمي "جوشار" وهو يقفز إلى البيت المجاور اسرع إلى الباب وفتحه فرأى "سونيا" تهبط الدرج وقد ارتدت قبعتها ومعطفها فتظاهر بانه يخاطب "جوشار" في داخل القاعة وقال :

- ها هي ذي الآنسة "كريتشنوف" يا مسيو "جوشار" . ثم أشار إليها براسه بالدخول .

ما إن دخلت القاعة حتى بادر إلى إغلاق الباب وقال لها همسا:

- إن الوقت ضيق يا "سونيا" ؟

- ماذا تعني يا سيدي الدوق ؟

- لقد صدر أمر باعتقالك .

فصاحت في جزع :

- يا إلهي .

- لا تخافي يجب أن تغادري البيت فورا .

- ولكن كيف استطيع ورجال الشرطة يخفرون الباب ؟

- هذه عقبة يمكن تذليلها .

واسرع فتناول بطاقة من معطف "جوشار" الموضوع على المقعد وكتب عليها : "يسمح للآنسة "كريتشنوف" بالخروج .

وذيل هذه العبارة بإمضاء "جوشار" بعد أن زوره تزويرا متقنا محاكيا التوقيع الذي بالبطاقة التي أعطاها له "جوشار" ، وما إن فرغ

الدوق من كتابة البطاقة حتى سمع حركة صادرة من ناحية المدفاة فانبعث واقفا وقد اشار إلى "سونيا" بالصمت وسار إلى المدفاة وفي عينيه بريق العزم .

وانبعث من داخلها صوت "جوشار" يناديه :

– يا صاحب السمو .

– نعم . ماذا تريد ؟

– إنني لم اعثر على المنديل . أما قلت إنه في الركن الأيسر من الغرفة اليمنى بالطابق الثاني ؟

– ألم أسالك أن تدعني أرافقك ؟ إنه في الركن الأيمن من الغرفة اليسرى .

فقال "جوشار" في دهشة :

– يخيل إلي أنك قلت الغرفة اليمنى ؟

ثم سمع الدوق وقع قدمي "جوشار" وهو يبتعد فرجع إلى "سونيا" مسرعا وصاح بها :

– اسرعي بالخروج وقدمي هذه البطاقة للشرطي .

فقالت "سونيا" في تردد :

– ولكن هذه البطاقة ؟!

– قلت لك أسرعي ولا تضيعي الوقت .

فصاحت في اعتراض :

– ولكن هذا جنون عندما يكتشف "جوشار" أن هذه البطاقة ..

– لا تخافي فإنني أعرف كيف أنقذ نفسي ولكن إلي أي مكان ستذهبين ؟

– سأنزل بفندق صغير في ميدان "ستار" . وقد غاب عني اسمه الآن . ولكن هذه البطاقة ..

– ما رقم تليفون الفندق ؟

– ٥٥٥ سنترال .

وكتب الدوق رقم التليفون على كم قميصه وهو يقول :

- إذا لم اتصل بك تليفونيا حتى منتصف الساعة التاسعة من صباح الغد فاحضري إلى بيتي .

- ولكن هذه البطاقة . إنني لا أريد أن أكون سببا في إزعاجك.

- قلت لك انصرفي . لن يلحقني اي ضرر .

ودفعها إلى الباب فغمغمت :

- ما انبلك واعظم شهامتك !!.

وفجأة لم يشعر الدوق إلا وقد احتواها بين ذراعيه وطبع قبلة على شفتيها .

الفصل الثامن عشر

لم يتنفس الدوق الصعداء إلا حين سمع صوت الباب الخارجي وهو يغلق وراء "سونيا" فاشعل سيجارة وراح يدخن في هدوء مترقبا عودة "جوشار" .

وبعد لحظات رآه يخرج من فوهة المدفاة والحيرة بادية على وجهه وهو يقول :

- إنني لم اجد المنديل .

فقال الدوق متظاهرا بالدهشة :

- لم تجده ؟ هذا عجيب .

- امتاكد انت من انه كان في إحدى غرف الطابق الثاني ؟

- بالتاكيد . ولكن يجوز انك لم تبحث عنه جيدا .

ثم قال في لهجة تدل على التهكم :

- لو انني كنت مكانك لرجعت ابحث عنه مرة اخرى .

- لا داعي لذلك مطلقا . فقد بحثت بمنتهى العناية ولكن الا ترى معي يا صاحب السمو أن الامر غريب جدا ؟

- بلى . إنه غريب جدا ومضحك ايضا .

ونظر "جوشار" إلى الدوق في ارتباك ثم دق الجرس فلما اقبل "بونافنت" قال له :

- لقد أزف الوقت . اين الآنسة "سونيا" ؟

فقال "بونافنت" في استغراب :

- الآنسة "سونيا" ؟

- نعم .. يجب ان نبعث بها الآن إلى السجن .

- ولكنها خرجت .

فصاح "جوشار" :

- خرجت ؟ ماذا تعني ؟

- اعني انها خرجت . خرجت من القصر .

فصاح "جوشار":
- خرجت من القصر . أمجنون أنت ؟
- كلا .. إنني متأكد مما أقول .. فصاح "جوشار" كالمجانين :
- ومن الذي سمح لها بالخروج ؟
- رجال الشرطة الذين يحرسون الباب الخارجي .
- هذا جنون . إنك تهذي فإنني أمرتهم بألا يسمحوا لأحد بالخروج إلا إذا كان يحمل بطاقة باسمي عليها تصريح بالخروج ابعث إلي بهؤلاء المجانين .
وجاء الشرطيان فصاح بهما "جوشار" :
- كيف سمحتما للآنسة "كريتشنوف" بالخروج بلا تصريح مني؟
فقال أحدهما :
- ولكنها كانت تحمل تصريحا منك مكتوبا على بطاقتك .
- ماذا تقول ؟ إنه إذن تصريح مزور .
وراح يتمشى في أرجاء الغرفة ثم أمر الرجلين بالانصراف .
وتحول إلى الدوق ووقف يتفرس فيه كأنما لم يره من قبل .
وقال الدوق في صوت يفيض سخرية :
- مسكينة هذه الطفلة الضالة .. هل ألقيتها في السجن ؟ إنه عمل يزعج الضمير الحي حقا .
فقال "جوشار" وهو لا يزال يتفرس في الدوق :
- لقد هربت هذه الطفلة بواسطة تصريح خروج مزور .
- حقا ؟! ما أسعدني بأن أسمع هذا ، وأسألك المعذرة يا مسيو "جوشار" إذا كنت لا أشاطرك رأيك فإنني في الواقع شديد العطف على هذه الطفلة .
- إن طفولتها لم تمنعها من أن تكون شريكة لـ "أرسين لوبين" !
- وهل تظن أنها شريكته حقا ؟
- بكل تأكيد ولكن . ولكن كيف استطاعت أن تحصل على هذا التصريح المزور ؟

فهز الدوق راسه في سذاجة وبراءة ونظر "جوشار" برهة إلى الدوق في انزعاج ثم غادر الغرفة وأوصد الباب خلفه وقال يخاطب "بونافنت"

– متى خرجت الآنسة "كريتشنوف" ؟

– منذ خمس دقائق على الأكثر . لقد خرجت عقب حديثها معك في هذه القاعة .

– حديثها معي ؟ .. في هذه القاعة ؟

– نعم فقد خرجت على اثر ذلك مباشرة .

شهق "جوشار" وأسرع إلى القاعة وهو يركض فاخرج علبة البطاقات من جيب معطفه وأحصى ما فيها فوجد بطاقاته تنقص واحدة .

ونظر "جوشار" إلى الدوق أما هذا فابتسم في وجهه وكانت ابتسامة منه ظريفة عابثة .

وهم "جوشار" بان يقول شيئا ولكنه أمسك ووضع العلبة في جيبه ثم صاح ينادي "بونافنت" باعلى صوته وجاء مساعده يجري فقال له :

– هل أرسلت "فيكتوار" في عربة السجن ؟

– نعم . منذ وقت طويل فقد كانت العربة في الانتظار منذ منتصف العاشرة .

– منذ منتصف العاشرة ؟! ولكني نبهت عليهم الا يرسلوها إلا في الساعة الحادية عشرة إلا ربعا .. هذه أول مرة يحافظون فيها على المواعيد بمثل هذه الدقة فيحضرون قبل الموعد بساعة كاملة ولكن المهم انهم نفذوا التعليمات على اية حال .. فقال "بونافنت" :

– وهل أمر العربة الأخرى بالانصراف ؟!

فصاح "جوشار" :

– اية عربة أخرى ؟

– العربة التي وصلت منذ دقائق .

فصاح "جوشار" وقد نمت نبرات صوته عن القلق :

– عم تتحدث يا رجل ؟ اية عربة أخرى ؟

– الم تطلب من إدارة السجن أن ترسل مركبتين ؟

فوثب "جوشار" وقد اشتد به الغضب وصاح :

- اتريد ان تقول إنه جاءت إلي هذا القصر مركبتان من مركبات السجن؟

- نعم يا سيدي .

- وفي ايهما ارسلت "فيكتوار" ؟

- في الأولى بالتاكيد يا سيدي .

- الم تر الشرطي الذي كان يتولى قيادة هذه المركبة ؟

- بلى رأيته وتحدثت إليه .

- اسبقت لك به معرفة من قبل ؟

- لا يا سيدي .. ولا ريب انه حديث العهد .

فصاح "جوشار" في صوت مختنق :

- تبا لك ايها الغبى . فحملق إليه مساعده في دهشه وقال :

- ولكن ما الذي حدث يا سيدي

- ما الذي حدث ؟! لقد هزأ بنا .

فقال الدوق متسائلا :

- من هو الذي هزأ بكم ؟

- "ارسين لوبين" .. "ارسين لوبين" بلا شك .

فقال "جوشار" :

- إن عربة السجن التي أرسلت فيها "فيكتوار" عربة مزيفة . إنها عربة "ارسين لوبين" وما هذا الشرطي الحديث الذي يقودها إلاأحد اعوانه .. لقد استطاع هذاالشيطان ان ينقذ شريكته من بين يدي ألا تبا له .

فقال الدوق :

- إنه لأعظم الرجال دهاء وهو ايضا بعيد النظر جدا فقد توقع انك ستعتقل "فيكتوار" فاتخذ العدة لذلك .

فصاح "جوشار" :

- ولكن هناك حلقة مفقودة . لقد قرر الطبيب أن "فيكتوار" لن تفيق قبل الساعة العاشرة .

. فكيف عرف "لوبين" ذلك حتى أرسل المركبة في هذا الموعد .

نعم كيف عرف النبأ ؟ هناك حلقة مفقودة بلا ريب .

- ثم التفت إلى "بونافنت" وصاح به :

- ما بالك تحملق إلي كالمجنون . اعمل شيئا . اذهب إلى مخدع "فيكتوار" وفتشه .

وعلى أثر انصرافه قال الدوق :

- الأن بدأت افهم يا صديقي سر تقديرك لـ "ارسين لوبين" . نعم . إنه داهية ذكي وحكاية عربة السجن حيلة رائعة .

فصاح "جوشار" وقد اشتد به الغضب :

- ولكني ساقبض عليه . نعم . لابد أن اقبض عليه إن رجالي اغبياء بلهاء وهم الذين يحبطون بسذاجتهم خططي . كم من مرة طلبت إليهم أن يرتابوا في كل شيء لو أن هذا الغبي "بونافنت" ارتاب في ذلك الشرطي حديث العهد لما حدث ما حدث . إن الشك هو شعار الشرطي الناجح .

ودق جرس التليفون فاسرع إليه "جوشار" ، ووضع السماعة على اذنه ثم التفت إلى الدوق وقال :

- هذاهو بستاني قصر "دي شارميراس" ..

ثم عاد إلى التليفون وقال :

- نعم ، انا المفتش السري "جوشار" .أريد أن أعرف أسماء الذين دخلوا بالأمس إلى بيت الأزهار في حديقة القصر . نعم . لا بل بنوع خاص أسماء الذين قطعوا شيئا من أزهار "السليفيا" .

فقال الدوق على عجل :

- الم انبئك بانني انا نفسي قطفت بالأمس بعض ازهار "السليفيا" ؟

فالتفت إليه "جوشار" وقال :

- نعم إنني اعرف ذلك .

ثم عاد إلى حديثه التليفوني وقال :

- من ؟! الدوق "دي شارميراس" ؟ ليس هناك سواه .هل انت متاكد من

ذلك ؟ شكرا لك .

وأعاد السماعة إلى مكانها ثم التفت إلى الدوق وقال :

- إنه يؤكد يا سيدي الدوق أن سموكم الشخص الوحيد الذي أخذ بالامس شيئا من هذه الأزهار .

فقال الدوق في غير اهتمام :

- اقال ذلك حقا ؟

وراح "جوشار" يحدق إلى الدوق بنظرة فاحصة ولكنه لم يقل شيئا .

ودخل "بونافنت" يقول :

- فتشت مخدع "فيكتوار" فلم أجد فيه إلا كتابا للصلاة وصورة فوتوغرافية لها .

فنظر "جوشار" في الصورة وقال :

- إنها قديمة العهد ، لاريب انها التقطت منذ عشرة أعوام على الأقل .

ثم ما لبث أن أردف :

- غريب جدا . ما هذا ؟

وكانت الصورة تضم غير "فيكتوار" فتى في السابعة عشرة من العمر. وراح "جوشار" يتامل صورة الفتى في اهتمام وينقل بصره بينها وبين وجه الدوق .

ومرت بعيني الدوق سحابة من القلق ، وفطن "جوشار" إلى الأمر فاقترب من الدوق وراح ينظر إليه محملقا كأنما يراه للمرة الأولى .

فقال الدوق باسما :

- لم تحملق إلي بهذا الشكل ؟ هل برباط عنقي اعوجاج حتى أصلحه؟

فقال "جوشار" :

- لا شيء .. لا شيء .

وعاد يتامل الصورة مرة أخرى .

وارتفعت جلبة الحديث من الردهة فقال الدوق :

- يظهر أن ضيوف مسيو "مارتان" يهمون بالانصراف ولابد لي أن أودعهم .

غادر القاعة وترك "جوشار" يحملق إلى الصورة .

وإذ انصرف المدعوون صعد مسيو "مارتان" إلي الطابق الأعلى وفي أثره "جرمين" والدوق .

وقالت "جرمين" :

- إن أبي مصر على أن يبيت الليلة في فندق "ريتز" حتى يتقي هجمات "لوبين" وعصابته .

فقال الدوق ضاحكا :

- انفضي عنك هذا الوهم فإن من المستحيل أن يهاجم "لوبين" القصر الليلة وفيه كل هؤلاء الشرطة .

- إن "لوبين" يا صديقي رجل يلذ له أن يرمي بنفسه في أتون الخطر .

ومضت "جرمين" إلي مخدعها لتبدل ثيابها أما الدوق فرجع إلى قاعة الاستقبال فوجد "جوشار" مقطب الجبين وقد استغرقه التفكير ، فقال له:

- إن مسيو "مارتان" وابنته سيبيتان الليلة في فندق "ريتز" وقد حاولت أن أثنيهما عن ذلك لأن هذا العمل من ناحيتهما يوحي بأنهما لا يثقان بمقدرتك على حمايتهما .

فهز "جوشار" كتفيه بلا اكتراث وقال :

- إنني أفضل أن يغادرا البيت .

وللمرة الثانية راح يتفرس في وجه الدوق فقال هذا :

- ماذا جرى ؟! هل رباط عنقي غير مستقيم ؟

- لا يا صاحب السمو .

وفتح الباب ودخل مسيو "مارتان" وهو يقول :

- في أي زمن نعيش نحن ؟ رجل يملك قصرا عظيما ثم لا يستطيع أن يمضي فيه الليل ويضطر إلى أن يبيت في الفنادق .

فقال الدوق :

- ولكنني لا أرى سببا يدعوك إلى مغادرة القصر .

- ماذا ؟! أتريد مني أن أبقى هنا فأستهدف للخطر ؟

ألم تقرأ برقية "أرسين لوبين" ؟ الليلة عند منتصف الليل يسطو على

القصر . إنه يعلم أن التاج موجود في خزانة مخدعي فهل تريد أن أظل في انتظاره حتى يحضر فيقطع عنقي قطعا ؟

– ولم لا تعهد إلى بعض رجال الشرطة بأن يحرسوك وأن يسهروا إلى جوارك داخل المخدع نفسه . أليس هذا ممكنا يا مسيو "جوشار" ؟

– بالتأكيد . وفي وسعي أن أؤكد لك يا مسيو "مارتان" أنك لن تستهدف لأي خطر .

– أشكرك . إن فندق "ريتز" على أية حال أكثر أمنا من هذا القصر .

وجاءت "جرمين" في هذه اللحظة وقالت مخاطبة أباها في تهكم:

– هذه يا أبي أول مرة تلبس فيها ثيابك بمثل هذه السرعة . ألا تنوي أن تمضي معنا يا "جاك" ؟

فقال الدوق :

– بل إني أفضل البقاء هنا فما يدريني أن "أرسين لوبين" ليس هازلا ؟ إنني شخصيا أعتقد أنه لن يجسر على المجيء .

فضحك المليونير وقال :

– فليحضر إن شاء فإنه لن يجد التاج إذ إنني سآخذه معي إلى الفندق . إنه في هذه الحقيبة .

وهز حقيبة صغيرة كان يحملها في يده ، فقال الدوق :

– ليس من الحكمة أن تأخذ التاج معك .

– ولماذا ؟

– لأن "لوبين" لن يعجز عن السطو على فندق "ريتز" مادام في وسعه – في اعتقادك – أن يسطو على هذا البيت المكتظ برجال الشرطة .. وفضلا عن هذا فقد طلب منك "لوبين" أن تضع التاج في مخدعك ولكنه لم يذكر أي مخدع يقصد ؟

مخدعك في القصر أم مخدعك في فندق "ريتز" ؟! ولعله وهو يكتب إنذاره كان يتوقع منك هذا العمل بالذات فكأنك بذلك تمهد له السبيل إلى سرقة التاج .

فصاح مسيو "مارتان" وقد اشتد به الخوف :

- يا إلهي .. هذا كلام معقول .

فقال "جوشار" :

- لقد أصاب سمو الدوق فإن "ارسين لوبين" رجل بعيد النظر ولعله ما بعث إليك بهذه البرقية إلا لكي يستدرجك إلي مغادرة القصر ومعك التاج .

وفتح المليونير الحقيبة وهم بان يخرج التاج منها لكنه تردد وقال يخاطب الدوق :

- اتسمح لي بكلمة على انفراد ؟

ومضى به إلى الغرفة المجاورة وقال له :

- إنني الآن اشك في الناس جميعا .

فابتسم الدوق وقال :

- هذا طبيعي . فإنني ما لقيت هنا إنسانا إلا وجدته يرتاب في الآخرين . فهل انت واثق بانك لا ترتاب في ؟

- كفى مزاحا يا عزيزي الدوق فإن الوقت عصيب ..خبرني . ما رايك في "جوشار" ؟

- رايي في "جوشار" ؟ ماذا تعني ؟

- ايمكنني أن اتخذه محلا للثقة ؟

- بالتاكيد ، وفضلا عن هذا فإنني ساكون إلى جواره أرقبه فإذا حاول أن يسرق التاج أطلقت عليه النار .

فاشرق وجه المليونير وقال :

- حسنا . ساعهد إليه بالتاج إذن .

وفي خلال هذا الحديث كان "جوشار" قد اغتنم فرصة انفراده بـ "جرمين" فعرض عليها صورة "فيكتوار" والفتى الواقف إلى جوارها وقال لها :

- اليست هذه صورة الدوق ؟

ونظرت "جرمين" في الصورة وقالت :

- إنها غير واضحة .

- هذا لأنها التقطت منذ عشرة أعوام .

- إذا كانت هذه صورة الدوق فإن التشابه بينهما ضعيف جدا .

- ولكنها تشبهه ؟ أليس كذلك ؟

فقالت "جرمين" :

- بلى إنها تشبه الدوق الآن ولكنها لا تشبهه كما كان منذ عشرة أعوام .. لقد تغير كثيرا .

فقال "جوشار" في بطء :

- إذن فقد تغيرت ملامح الدوق كثيرا عما كان منذ عشرة أعوام؟

- نعم . فقد أرهقته رحلته إلى القطب الجنوبي ..

وكذلك هذا المرض الخطير الذي أصابه . لقد أوشك أن يقضي نحبه .

- حقا ؟ وأين أصابه المرض ؟

- في مدينة "مونتفديو" .

وإذ فتح الباب في تلك اللحظة ودخل مسيو "مارتان" والدوق أسرع "جوشار" يخفي الصورة في جيبه .

وأخرج المليونير التاج من حقيبته وقدمه إلى مسيو "جوشار" وهو يقول في زهو وفخار :

- انظر يا مسيو "جوشار" إنه تحفة رائعة وإنني أعهد إليك بهذه التحفة .. وإن لي فيك ثقة عمياء .

فقال "جوشار" :

- كن مطمئنا .

وحياهم المليونير : هو وابنته فقال الدوق :

- وأنا أيضا ساوي إلى مخدعي إذ إني بحاجة إلى النوم .

ولكن "جوشار" صاح به :

- أرجو أن تبقى معي يا سيدي الدوق .

- عجبا كنت أظن أنك تريد مني أن أنصرف .

- بل أريد منك أن تبقى .

فقال الدوق :

-ولكني متعب أريد أن أنام .

فنظر إليه "جوشار" برهة ثم قال في لهجة تدل على التحدي :

- هل أنت خائف ؟

فابتسم الدوق وقال :

- إذن فقد عرفت يا مسيو "جوشار" كيف تستدرجني إلى البقاء . نعم. سأبقى لأبرهن لك على أنني لا أخاف أحدا حتى ولا "أرسين لوبين" نفسه .

فقالت "جرمين" :

-ولاتنس يا "جاك" أننا ذاهبان غدا إلى مرقص الأمير فإنك لم تنم بالأمس قط لأنك غادرت قصر "دي شارميراس" في الساعة الثامنة ولم تصل "باريس" إلا في السادسة صباحا ، فيجب أن تنام قليلا .

فنظر إليه "جوشار" وقال في صوت منخفض :

- هل ظللت تقود السيارة طول الليل ؟ من الثامنة إلى السادسة صباحا ؟

فقال الدوق يخاطب "جرمين" :

- اطمئني ، سنذهب إلى المرقص غدا .

ولما انصرف المليونير وابنته قال "جوشار" :

- اسمح لي يا صاحب السمو بأن أصدر تعليماتي إلى رجالي .

وارتمى الدوق على أحد المقاعد يدخن ثم أخرج ساعته فنظر فيها وغمغم:

- ما زال أمامنا عشرون دقيقة .

الفصل التاسع عشر

رجع "جوشار" إلى القاعة وقد بدت عليه أمارات الانفعال وجعل يتمشى في المكان وهو ظاهر الاضطراب ثم وقف إلى جوار المدفأة وظهره إليها فقال له الدوق :

- لاتقف في هذا المكان ، فقد يهبط "لوبين" من فوهة المدفاة وينقض عليك قبل أن تملك دفاعا عن نفسك .

فقال "جوشار" :

- إنني أعلم أن سموك ستبادر إلى نجدتي .

وكان صوته غريب النبرات و أخذ ينظر إلى الدوق نظرات فاحصة وبعد لحظات قال الدوق :

- الحق انه موقف يحطم الأعصاب .

- بالتاكيد .. ولا ريب أنك متعب لا تقوى على النضال فلو اني عرفت أن سيارتك أصيبت بعطب بالأمس لما سألتك البقاء .

فقال الدوق : عطب ؟

- نعم .. فإنك غادرت قصر "دي شارميراس" في الساعة الثامنة فلم تصل إلى باريس إلا صباحا فهل سيارتك ضعيفة ؟

- لا . إن قوتها مائة حصان .

- لاشك إذن أنها أصيبت بخلل في الطريق .

- بالتاكيد وقد أخرني هذا العطل ثلاث ساعات على الأقل.

- وهل أصلحت هذا الخلل بمفردك ؟

- نعم . ولم يرني أحد من المارة لأن الطريق كان خا ليا إذ تجاوزت الساعة إذ ذاك الثانية بعد منتصف الليل .

وتناول الدوق سيجارة لنفسه وهو يقول :

- أليس هذا كله غريبا ؟ سجائرك . أزهار "السليفيا" . الصورة الفوتوغرافية التي عثرنا عليها في غرفة "فيكتوار" . الرجل الذي شوهد يخرج من القصر في الصباح الباكر وهو في ثياب السائق . وأخيرا هذا

الخلل الذي أصاب سيارتك .

كانت نبرات "جوشار" تزداد شكا كلما استرسل في كلامه .

وهب الدوق واقفا وصاح في غضب :

- مسيو "جوشار" لا ريب انك افرطت في الشراب فبدات تهذي.

وتناول معطفه وقبعته ولكن "جوشار" اعترضه بقوله :

- كلا . لا تذهب .. ! لا تنصرف .

فصاح الدوق غاضبا :

- ماذا تعني يا رجل ؟

فارتد "جوشار" بضع خطوات إلي الوراء والقى بيده على جبينه وقال في صوت خافت :

- عفوا يا صاحب السمو . نعم . إنني أهذي لقد افقدني هذا الموقف العصيب صوابي .

فقال الدوق :

- هذا جلي ظاهر . لقد أردت منك ان تبقى لتساعدني فإنني وحدي لا استطيع ان اواجه "أرسين لوبين" .

- سابقى إذن ولكن يجب أن تتجلد وتستعيد هدوءك .

- نعم . إنني مهدم الأعصاب فاسالك الصفح يا صاحب السمو.

-حسنا .لقد نسيت كل ما بدر منك .

وبعد لحظات قال "جوشار" :

- هل التاج في هذه العلبة ؟

- بالتاكيد .

ولكن "جوشار" في اضطرابه لم يطمئن إلا عندما فتح العلبة ورأى التاج مستقرا فيها ولآلئه تبهر الأبصار .

وقال "جوشار" :

- إن التاج حقا في العلبة .. فلننتظر الآن .

- ننتظر أي شيء ؟

- مجيء "أرسين لوبين" بالتاكيد

- "لوبين" ؟ وهل تعتقد انه سيحضر حقا ؟ كأني بك يا صديقي تروي قصة خرافية . عندما تدق الساعة نصف الليل سيختفي التاج بقوة السحر فقال "جوشار" :

- نعم سيختفي التاج ولكن الا يضايقك الانتظار ؟

- كلا .. فإنني في الواقع أتمنى أن أقابل هذا الشيطان الذي هزأ بك أعواما طوالا دون أن تمس شعرة من رأسه .

وارتسمت على شفتي الدوق ابتسامة تحد واستفزاز .

ومرت بضع دقائق وهما صامتان .

واخيرا قال الدوق فجاة :

- إنني اسمع وقع اقدام .

فانتفض "جوشار" من خواطره وقال :

- إنني لم أسمع شيئا .

وما مرت لحظات حتى أصبح وقع الاقدام مسموعا واعقبه نقر على الباب فقال "جوشار" :

- إنك أرهف مني أذنا . إن لك كل الميزات التي تجعل منك شرطيا سريا .

ولما فتح الباب لقي أمامه "بونافنت" الذي قال له .

- ها قد جئتك بالأصفاد يا سيدي فهل تحب أن ابقى معك ؟

- لا .. هل وزعت . الرجال كما أمرتك ؟

- نعم . رجلان عند الباب الخلفي واثنان عند الباب الأمامي وواحد في كل غرفة من غرف الطابق الأرضي وثلاثة رجال في كل طابق من الطوابق الأخرى .

- والمنزل المجاور ؟

- اقمت فيه عشرة رجال .

- حسنا . وإذا رأيتم شخصا يحاول الدخول فاقبضوا عليه . وإذا أدى الأمر فاطلقوا عليه النار .

ولما انصرف "بونافنت" قال الدوق :

- الحق اننا الآن اشبه بمن هم في قلعة حصينة .

فقال "جوشار" باسما :

- بل هذا القصر الآن اكمل تحصينا من القلاع . إن في هذه الردهة اربعة رجال .

واشار إلى باب القاعة المفضي إلى الردهة . فقال الدوق في لهجة تدل على القلق :

- حقا ؟

- ترى هل يضايقك ذلك ؟

- يضايقني ؟ إنه على النقيض يسرني إذ لن يجسر "لوبين" وهو يرى كل ذلك على ان يقتحم علينا هذه القاعة .

فقال "جوشار" في صوت متمهل :

- نعم لن يكون اقتحام القصر سهلا كما كان يتصور ..

إلا إذا خرج علينا من بطن الأرض . أو إلا إذا ..

وسكت . فقال الدوق :

- أو إلا إذا كنت أنت "ارسين لوبين" .

فقال "جوشار" :

- وإذ ذاك ستكون انت "ارسين لوبين" الثاني يا صاحب السمو

وضحك الرجلان .

تناول الدوق معطفه وقبعته وهو يقول :

- إنني ذاهب إلى فراشي إذ لا داعي لبقائي مع قيام كل هذه الاستعدادات إذ يستحيل أن يحضر "لوبين" .

فصاح "جوشار" :

- ثق بانه سيحضر يا صاحب السمو .

- رباه . ما هذه الأوهام يا "جوشار" ؟!

فقال الشرطي في إصرار :

- ثق بانه سيحضر واننا سنراه .

- هذا هراء وهذيان .

فقال "جوشار" في صوت خافت وهو يحدج الدوق بنظرة فاحصة :
- إن "ارسين لوبين" موجود هنا الآن بالفعل .
فصاح الدوق :
- موجود هنا ؟ اين هو ؟
فقال "جوشار" في بطء :
- إنه متنكر .
فقال الدوق في دهشة :
- متنكر ؟! اهو أحد رجالك و قد تنكر ؟
- لا . بل إنه متنكر في صورة أخرى .
فهتف الدوق :
- في هذه الحالة لن يفلت منا ولا ريب انه سيقتحم هذه القاعة عاجلا ليسرق التاج .
ووضع قبعته على المنضدة إلى جوار التاج .
وقال "جوشار" :
- ليته يفعل ولكني اظن انه لن يجسر .
- ماذا تعني ؟
- الم تقل سموك منذ لحظات إننا في قلعة حصينة فهل يجسر "لوبين" على مهاجمة هذه القلعة ؟ مارايك انت في ذلك يا صاحب السمو؟
وكانت نبرات "جوشار" تدل على التحدي فنظر إليه الدوق في استغراب ثم قال :
- اتسالني رايي وانت الذي تعرف "لوبين" واساليبه منذ اعوام طويلة؟
وقال "جوشار" في صوت متهدج :
- نعم ففي خلال الأعوام العشرة الماضية عرفت "ارسين لوبين" وخبرت فنه واسلوبه لقد تعلمت مناوراته ودرستها حق الدرس . إنه لا يفر هاربا من اعدائه بل يفاجئهم بغتة ويوجه إليهم اشد الضربات في

عزم وسرعة لقد هزأ بي طويلا ولكني الآن عرفت سره وفي وسعي أن اتنبأ بحيله قبل وقوعها ..

آه . . إني أراك تبتسم يا صاحب السمو .

فقال الدوق :

- الواقع أن حديثك لذيذ مسل .

فقال "جوشار" في حنق مكتوم :

- لكنه لن يهزأ بي في هذه المرة ليست هناك حيل أو خدع ولا دهاليز تحت الأرض ولا منافذ سرية ولا أبواب خفية إنها معركة عادلة ومعركة تجري في فيض من النور ! وإذ ذاك لن تجديه جرأته نعم إن "لوبين" جريء ولكنها جرأة اللصوص لا جرأة المغامرين.

فقال الدوق وقد تألقت عيناه :

- أهذا إذن هو رأيك في "أرسين لوبين" ؟

- نعم إنه جريء جرأة اللصوص ولكنه في الصميم شخص عادي ليس على شيء من النبوغ وهذه الخدع والمناورات التي يقوم بها شيء عادي يمكن أن يفكر فيها أي شخص عادي .

فابتسم الدوق وقال :

- يخيل إلي أن رأيك هذا بعيد عن الصواب .

وراح كل من الرجلين يتفرس في صاحبه في نظرة تنطوي على التحدي .

وقال الدوق :

- ولكن "أرسين لوبين" كما سمعت قد عمل أعمالا تدل على الذكاء والدهاء وسعة الحيلة .

فقال "جوشار" في استخفاف :

- وما هي هذه الأعمال بالله عليك ؟

- أوه . يجب أن تنصفه يا "جوشار" . إن سرقة هذا القصر كانت عملية بارعة وسرقة السيارتين أيضا .

فقطب "جوشار" جبينه ولم يقل شيئا فاسترسل الدوق :

- وسرقة السفارة البريطانية . وسرقة الخزانة العامة . وحادث مسيو "ليبان" . كل هذه الحوادث قد وقعت في أسبوع واحد . وفي تدبيرها ما يدل على النبوغ .

فصاح "جوشار" :

- كلا . فإن ...

ولكن الدوق قاطعه بقوله :

- وكيف تنسى يا صديقي حيلته البديعة حين تنكر على صورتك أنت؟!.

- "ارسين لوبين" اللص يتجاسر فيتنكر في صورة "جوشار" الشرطي العظيم.

فقال "جوشار" على عجل :

- لقد فعل ما هو أعجب من هذا فلم لا تحدثنا عن ذلك ؟

- عن أي شيء ؟

فقال "جوشار" وهو يحدج الدوق بنظرة فاحصة :

- لم لا تحدثنا عن خدعته الرائعة حين تنكر على صورة الدوق "دي شارميراس" ؟

فصاح الدوق :

- عجبا ؟ أفعل هذا حقا ؟ إنني لم أسمع بهذا النبا إلا منك انت الآن .

فقال "جوشار" مسترسلا ؟

- وأمتع ما في هذه الخدعة انه أوشك أن يتزوج على اعتبار انه هو الدوق "دي شارميراس" .

- هذا غريب .. فالمفروض أن الزواج لا يلائم "لوبين" .

- ولكن هذه الزيجة تلائمة بنوع خاص فالفتاة جميلة وسترث ملايين لا تحصى .

فقال الدوق :

- وما يدريك انه مع ذلك لن يتزوجها . إن من المحتمل انه يحب فتاة أخرى .

فقال "جوشار" متهكما :

- ولعل هذه الفتاة الأخرى سارقة من طرازه . الم أقل لك يا سمو الدوق إن المرأة نكبة على "أرسين لوبين" . إن هيامه بهذه الفتاة السارقة هتك سره .

واستطاع بعض الناس أن يدركوا أن الدوق "دي شارميراس" هو "أرسين لوبين" .

- يا لها من حكاية مسلية .

وهتف "جوشار" في ابتهاج :

- كان في نيته أن يذهب غدا إلى مرقص الأميرة ولكنه بدلا من ذلك سيذهب إلى السجن بل سيذهب إليه الليلة .

نعم .. الليلة

وارتفع صوت "جوشار" يدوي في أرجاء القاعة وهو يقول :

- نعم . الليلة ساقبض عليه لقد حانت ساعة الانتقام اليوم سينتقم "جوشار" لما اصابه في خلال السنوات الماضية "جوشار" الأبله كما يصفه "لوبين" .

فما رأيك في ذلك يا صاحب السمو ؟ الا ترى أن قصتي لذيذة ومسلية؟

فقال الدوق وهو ينهض واقفا :

- إنها قصة مسلية .. ولكني أرى الخوف ماثلا في عينيك .

فضحك "جوشار" وقال :

- أنا الخائف أم سواي ؟ .. فقال الدوق في غضب :

- إنك تجاوزت الحد أيها الشرطي لقد أصغيت إلى قصتك التافهة فطافت برأسك الوساوس الا تعلم أنني الدوق "دي شارميراس" ؟

فصاح "جوشار" وقد اشتد به الانفعال :

- إنك تكذب أنت "أرسين لوبين" إنك "لوبين" إنني أعرفك .

فقال الدوق في استخفاف :

- وهل تستطيع أن تبرهن على ما تقول ؟

- سابرهن نعم ساقيم الدليل على ما اقول .

- محال إنني الدوق "دي شارميراس" .

فضحك "جوشار" هازئا فقال له الدوق :

- لا تضحك يا بني العزيز .

فصاح "جوشار" مقاطعا :

- "بني العزيز" ؟ هذه .. جملتك التي اعتدت أن ترددها . نعم .. انت "لوبين".

فضحك الدوق وقال :

- ما هذا الهذيان ؟! أمعنى ذلك أن دليلك على أنني "لوبين" هو أنني نطقت بعبارة "بني العزيز" . يا له من برهان سيجعلك هزاة الناس ؟ هل يتجاسر مثلك على أن يقبض على الدوق "دي شارميراس" وهو من اكبر رجال المجتمع الباريسي والعضو في نادي "الجوكي" ونادي "الاتحاد" وخطيب ابنة المليونير "جورناي مارتان" ؟ هذا كثير !

إنك واهم يا بني العزيز . سيقول لك رؤساؤك إنك مجنون إن أردت أن تمس شعرة من راس الدوق "دي شارميراس" .

فصاح "جوشار" في جنون :

- لص .. نذل .

فقال الدوق يتحداه :

- هيا . اقبض علي إن استطعت ستكون هزاة الدنيا باسرها . ناد رجالك ولكن لا تنس أن يدك خلو من أي دليل ضدي .

- ولكني أعرف كيف أجمع هذه الأدلة .

- يجوز . في وسعك أن تجمع هذه الأدلة بعد شهر او اسبوع أو غدا أما الليلة فلا .. الليلة لن تقبض علي .

فقال "جوشار" في ياس :

- ومع ذلك كفاني فخرا اني منعتك من سرقة التاج .

فضحك الدوق وقال :

- سترى يا بني العزيز . أتعرف ما وراء هذا الباب ؟

وأشار بيده إلى باب الغرفة المجاورة ، فدار "جوشار" على عقبيه في حركة سريعة ونظر إلى الباب في هلع وقال

- ما الذي وراءه ؟

فضحك الدوق وقال :

- جبان . وانت الذي تريد ان تقبض على "لوبين" ؟ إنني أرثي لك .

ومسح "جوشار" جبينه الذي تصبب عرقا فقال الدوق :

- كلما أشرفت الساعة على منتصف الليل اشتد بك الرعب .

وسكت الدوق ثم صاح فجاة :

- حذار .

فانتفض "جوشار" رعبا فقهقه الدوق ضاحكا وقال :

- يا للجبان . إنك خائف فزع ومع ذلك فإنني اعذرك . هناك شيء رهيب سيقع بعد دقائق عندما تدق الساعة منتصف الليل .. رباه ، ترى ما يكون هذا الشيء المجهول ؟ لا تحاول أن تبتسم يا رجل فإن وجهك شاحب كالأموات .. إنك ترتعد فرقا .

وابرقت عينا الدوق ببريق مخيف وقال "جوشار" :

- اتحسبني اخاف "ارسين لوبين" ؟ إن رجالي في الخارج وهم مسلحون . فضحك الدوق وقال ساخرا :

- يالك من غر ابله . الا تعلم أن لـ "ارسين لوبين" قوة خارقة وانك قد تدبر وتضع الخطط وتعد العدة لكل شيء ولكن بغتة - يقع حادث ما يحبط كل تدبيراتك حادث رهيب غير متوقع .

فقال "جوشار" :

- إذن فانت تعترف بانك "ارسين لوبين" ؟

فابتسم الدوق وقال :

- عجبا لك ! كنت أحسبك على يقين من الأمر فإذا بك تنتظر مني إقرارا .

وصاح "جوشار" :

- رباه .. اي شيء يحول دوني واعتقالك ؟!

- هيا اقبض علي بشرط أن تبرهن على أنني "أرسين لوبين" .

- بعد ثلاث دقائق سأقبض عليك إلا إذا تعهدت بألا تمد يدا إلى التاج.

فضحك الدوق هازئا وقال :

- بعد ثلاث دقائق سيسرق التاج ولن تقبض علي .

- بل سأقبض عليك .. أقسم إنني سأقبض عليك !

قال الدوق في هدوء :

- لم تبق إلا دقيقتان .

وأخرج الدوق مسدسا فصاح "جوشار" وهو يخرج مسدسه بدوره :

- إياك أن تطلق علي النار وإلا قتلتك .

فقال الدوق في استغراب :

- أطلق عليك النار ؟ لعلك تهذي .. إنني ما أخرجت مسدسي إلا استعدادا لمنازلة "أرسين لوبين" فلم يبق على موعده إلا دقيقة واحدة .

مشى "جوشار" إلى الباب وهو يقول :

- إن معي عددا كبيرا من رجال الشرطة .

- يا لك من جبان . أتخاف أن تلقى "لوبين" بمفردك .

فأخذت الحمية "جوشار" وقال :

- إذن فلن أدعو أحدا من رجالي .

- هذا يدل على حماقتك لأن "لوبين" أقوى منك وأدهى . وعض "جوشار" شفته حنقا وتفصد جبينه عرقا فصوب مسدسه إلى الدوق وهو يقول في انفعال :

- سأقتلك بلا تردد إذا تحركت من مكانك .

- وفي هذ الحالة سترسل إلى المشنقة لأنك بذلك تكون قد قتلت الدوق "شارميراس" وليس "أرسين لوبين" .

- فليكن .. إنني لا أبالي .

- لم تبق إلا خمسون ثانية .

وراح "جوشار" ينقل نظراته بين التاج والدوق وهو يقول :

- احذر لنفسك .

- بل احذر أنت فإن التاج سيسرق الآن .

فصاح "جوشار" :

- إنه لن يسرق .

- بل سيسرق .

- كلا .. لن يسرق .. لن يسرق .

وبدأت الساعة ترسل دقاتها إيذانا بانتصاف الليل وأخذ "جوشار" يرتعد .

ولما اكملت الساعة دقاتها الاثنتي عشرة قفز الدوق صوب المنضدة التي فوقها التاج فظن "جوشار" أنه سيختطف التاج ووثب خلفه ولكن الدوق ابتسم وقال في هدوء :

- أتسمح لي بان آخذ قبعتي ؟

وتناول قبعته الموضوعة إلي جوار التاج فقال "جوشار" :

- لقد افزعتني . ثم أخذ التاج وهو يقول :

- ها قد حلت دونك وسرقة التاج .

فابتسم الدوق وقال :

- اتظن ذلك ؟ إنك واهم يا صديقي .

- واهم ؟ وهذا التاج الذي بين يدي ؟ فضحك الدوق وقال :

- كنت احسبك يا "جوشار" اذكى من هذا .. الم تلاحظ ان التاج خفيف الوزن ؟ الم تدرك أنه تاج مقلد ؟

ونظر "جوشار" في رعب إلى التاج فادرك أن حجارته من زجاج فصاح في صوت المخنوق ينادي رجاله :

- "بونافنت" .. "ديوزي" .. تعالوا ادخلوا .

وجاء رجال الشرطة يركضون فقال لهم الدوق في لهجة حزينة :

- لقد سرق التاج أيها السادة .

فتصايحوا في دهشة والتفوا حول رئيسهم يسالونه عما حدث وكان المسكين قد عانى الويلات في خلال هذه الساعات الأخيرة حتي تهدمت

أعصابه فلم يقو علي الكلام وإنما انفجر يبكي .

ولما سكتت ثائرته قال :

- أين هو ؟.. فقالوا متسائلين :

- من هو ؟

- الدوق . الدوق "دي شارميراس" .

- لقد انصرف .

فصاح "جوشار" كالمجنون :

- انصـــرف .. انطلقـــوا وراءه اقـــبـــضـــوا عليـــه إنه ليس الدوق "شارميراس" . إنه "ارسين لوبين" .

الفصل العشرون

في بيت الدوق "دي شارميراس" في شارع الجامعة وفي مخدعه الخاص كان ثلاثة أشخاص مجتمعين هم "كاروليه" وابنه "برنارد" ومدام "فيكتوار" ، وكانوا يتحدثون في جزع عن "ارسين لوبين" ويتساءلون عن السر في تأخره .

وقال "كاروليه" :

– ربما عاقه عن الحضور أن رجال الشرطة يطاردونه الآن فلم يجسر على المجيء .

وقال "برنارد" :

– وماذا نفعل إذا داهم البوليس البيت ؟ هل نعدم أوراقه أو نبقيها ؟

وقالت مدام "فيكتوار" :

– ترى هل يظفرون به ؟!

اقترب "كاروليه" من النافذة وقال :

– إنني أرى مخبرا سريا واحد رجال البوليس يركضان وقد وقفا يتحدثان إلى الشرطيين اللذين يراقبان هذا البيت . يا إلهي إنهم جميعا يجرون إلى هذه الناحية . !

فصاحت "فيكتوار" :

– وما العمل الآن ؟!

وقرع الجرس بشدة فبان الرعب في وجوههم .. وتسمروا مكانهم لا يتحركون . وفي تلك اللحظة سمعوا دوي المصعد المتصل بالردهة مباشرة داخل المسكن ثم فتح باب المصعد ومنه خرج الدوق "دي شارميراس" ولكنه كان يبدو تعبا ملطخ الثياب بالأوحال وكانت أنفاسه متلاحقة .

وصاح "كاروليه" في فرح :

– لقد جاء الزعيم سالما .

وقالت "فيكتوار" في انزعاج :

- ما بك ؟! أمريض انت ؟

فهز رأسه نفيا ولم يجب . ودق جرس الباب الخارجي مرة أخرى فقال "لوبين" :

- افتح الباب يا "كاروليه" . ولكن في بطء . تظاهر بانك تحرك المزلاج واختبئي انت يا "فيكتوار" .

أما أنت يا"برنارد" فاحجب المصعد .

وذلك أن بجوار المصعد رفوفا للكتب تتحرك بالضغط على احد الأزرار فتحجب باب المصعد فلايراه احد.

وإذ فتح "كاروليه" الباب دخل "ديوزي" و "بونافنت" يركضان أما الشرطي الرسمي فلزم الباب يحرسه .

وقال "ديوزي" :

- مادام قد رجع إلى بيته فلن يهرب منا .

واخذا يرتقيان الدرج مسرعين فصاح بهما "كاروليه" :

- تمهلا . وإلا أزعجتما سمو الدوق فإنه مستغرق في نومه .

فقال "ديوزي" ساخرا :

- مستغرق في نومه ؟! لقد أمضى ليلته يجري ولا اكتمك انه عداء بارع .

وفتح باب المخدع في هذه اللحظة وظهر على عتبته "ارسين لوبين" مرتديا ثياب النوم وقال في صوت يدل على الغضب :

- ما هذه الضجة ؟! آه . إنكما من رجال "جوشار" أليس كذلك؟

وكانت هيئته تدل على انه استيقظ من النوم منذ لحظات فجمد "بونافنت" مكانه وقال في ارتباك :

- نعم يا صاحب السمو .

- ماذا تريدان ؟

- .. لا شيء يا صاحب السمو إنها غلطة .

فقال الدوق في كبرياء :

- إن "جوشار" هو المسؤول عن هذه الغلطة وسينال جزاءه اما انتما

فانصرفا .

ودخل إلى مخدعه وأوصد الباب فقال "ديوزي" :

- هذا هو الدوق . أما "لوبين" فرجل آخر لقد أخطأ "جوشار" .

-. بالتأكيد . فمن المحال أن يكون هذا هو "لوبين" الذي كان يجري طول الليل ونحن نطارده .

ولما انصرف الشرطيان أسرعت "فيكتوار" إلى مخدع "لوبين" فوجدته بادي الإعياء فربتت كتفيه في حنان فقال لها :

- لقد كانت ليلة رهيبة يا أماه .

وحدثها بما كان وكيف فتح الخزانة بالمفتاح المسروق في أثناء استغراق مسيو "مارتان" في النوم و سرق التاج الحقيقي ووضع مكانه التاج المقلد ، وما كان من الحوادث التي تعاقبت بعد ذلك وكيف أنقذها هي و "سونيا" من السجن .

وقال أخيرا :

- ولقد كان في وسعي بطبيعة الحال أن أنصرف بعد أن سرقت التاج ولكني فضلت أن أبقى لأشبع نفسي شهوة التهكم على"جوشار" والسخرية به وبالفعل أمضيت ساعات لذيذة هزأت به في خلالها كما أشاء وقد انصرفت عند انتصاف الليل ولكني أخطأت إذ غادرت القصر وأنا أجري اعتقادا مني بأن "جوشار" سيطلق رجاله في أثري فكان ركضي هذا سببا في إثارة شبهات البوليس الذي يخفر القصر فانطلقوا جميعا في أثري وظللت أجري بضع ساعات حتى كدت أموت تعبا .. وها قد جئت إليكم أخيرا لأراك وأرى "سونيا" .

فقالت مدام "فيكتوار" .

- "سونيا" . ! آه .. وقعت في الغرام مرة أخرى ؟

إن المرأة هي التي ستقضي عليك وأقسم إنه لولا هذه الفتاة لما استهدفت لهذه الأخطار .

فضحك "لوبين" وقال :

- ولكنها تستحق أن أستهدف من أجلها للخطر .

الفصل الحادي والعشرون

حين فرغ "لوبين" من تناول طعامه جلس يتحدث إلى مدام "فيكتوار" ويقول :

- إنني عاشق وساتزوج وستكون "سونيا" هي زوجتي .. وإذا ما تزوجت اقلعت عن حياة اللصوصية .

فقالت :

- اصبت فإن حياة اللصوصية لم تسبب لك إلا المتاعب والأخطار.

دق جرس التليفون في هذه اللحظة وكانت "جرمين" هي التي تتحدث وقد طلبت إليه أن يحضر للقائها في فندق "ريتز" .

- وقالت "فيكتوار" :

- لا تذهب إذ لاريب انهم نصبوا لك فخا .

فقال في استخفاف :

- ساكون حريصا . ومع ذلك فلو كان لدى "جوشار" دليل ضدي لما انتظر ان احضر إلى الفندق ولبادر من فوره ليقبض علي هنا إن الأدلة موجودة في هذه الخزانة .. ففيها التاج وشهادة الوفاة الخاصة بالدوق "دي شارميراس" الذي انتحلت شخصيته .

وفتح الخزانة واخرج منها محفظة جيب صغيرة وهو يقول :

- من حسن حظي انني احتفظ بالوثائق المثبتة لوفاة دوق وإلا لاتهمني "جوشار" بانني قتلته .

فقال "كاروليه" :

- ولو انك اردت أن تقتله لكان حسبك أن تفتح نافذة مخدعه وهو مريض فيقتله تيار الهواء ولكنك بدلا من ذلك سهرت على علاجه .

- الواقع انني كنت احبه لانه كان شديد الشبه بي وحين سطوت على قصره منذ ثلاثة اعوام ورايت صورته ادهشني شبهه العجيب بي .. ولهذا سرقت صورته واحتفظت بها .

- وبذلك استطعت أن تتنكر حتي تزداد به شبها .

- ولكني الآن ساتخلى عن هذه الشخصية .. فاستعدوا للسفر.

ودق الجرس إذ ذاك فلما ذهب "كاروليه" يفتح الباب وجد إزاءه الشرطي السري "بونافنت" وقد تنكر في زي خدم الفندق زاعما انه جاء برسالة للدوق فقال له "كاروليه" :

- انتظر إذن حتى يفرغ سموه من ارتداء ثيابه .

وما كاد "كاروليه" يصعد إلى الطابق الأعلى حتى انطلق "بونافنت" في اثره فقدم إليه "كاروليه" مقعدا ودعاه إلى الانتظار في قاعة التدخين.

وقرع الباب الخارجي في هذه اللحظة فهبط "كاروليه" مرة اخرى لينظر من الطارق فقطع "بونافنت" أسلاك التليفون بمقص كان يحمله في جيبه وإذ راى على المنضدة المحفظة التي اخرجها "لوبين" من الخزانة تناولها على عجل ودسها في جيبه ثم رجع إلى مقعده كانما لم يفعل شيئا .

وفتح باب المخدع وظهر على عتبته "ارسين لوبين" وسال "بونافنت" عما يريد فقال هذا وقد غير من صوته :

- إنني قادم من فندق "ريتز" احمل خطابا للدوق "دي شارميراس" .

- إنني الدوق فاين الخطاب ؟

وفض "لوبين" الخطاب وهو يقول :

- انتظر فقد احملك ردا .

وجاء "كاروليه" يقول :

- لقد سمعت طرقا عنيفا على الباب ولكن من الغريب انني لم اجد احدا .

ولو ان "كاروليه" عرف سر الأمر لما استغرب فقد كان الطارق زميلا لـ "بونافنت" المتنكر اراد ان يبعد "كاروليه" حتى يتيح لصاحبه فرصة يقطع فيهاأسلاك التليفون .

وكان هذا رد الخطاب :

"سيدي لقد كاشفني مسيو "جوشار" بكل شيء ولم يدهشني ان تحب

"سونيا" فإنك لص مثلها ولما كنت قد تأكدت أن الدوق "دي شارميراس" قد مات منذ ثلاثة أعوام فقد عولت على أن أتزوج ابن عمه مسيو "ريلزيير" لأنه الوريث الوحيد لهذا اللقب ."

"بالنيابة عن الآنسة "جرمين مارتان" خادمتها "إيرما" .

وابتسم "لوبين" إذ قرأ هذا الخطاب ونادى "كاروليه" قائلا :

- اجلس . فإنني أريد أن أملي عليك خطابا فإن هذه هي تقاليد الأوساط الراقية فيما يبدو .

وراح يملي عليه الخطاب التالي :

"سيدتي ، إن الصدمة لم تقتلني وسأتشرف بأن أبعث إليك بعد ظهر اليوم بهدية العرس المتواضعة" .

فصاح "كاروليه" في فزع :

- هل أكتب "لوبين" ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- و لم لا ؟ أليس هذا هو اسمي .

وأودع الرسالة غلافا ودفع بها إلى "بونافنت" .

وسار هذا صوب الباب وفجأة انقض عليه "لوبين" وطرحه أرضا وهو يقول :

- إذ ا حاولت المقاومة خنقتك .. "كاروليه" أخرج محفظتي من جيب هذا الشرطي الأبله .. لقد سرقها من فوق المنضدة وظن أن تنكره خدعني .

وبعد أن استرد محفظته قال :

- يجب أن تتعلم المصارعة اليابانية فإنها تفيد في بعض الأحيان . والآن اذهب إلى رئيسك وقل له إن عليه أن يلقاني وجها لوجه لو كان شجاعا .

فصاح "بونافنت" في حنق:

- لن تمضي دقائق حتى تتحقق أمنيتك .

الفصل الثاني والعشرون

التفت "لوبين" إلى اصحابه عقب انصراف "بونافنت" وقال :

- هيا غادروا البيت من الباب السري وإلا باغتكم "جوشار" .

- وأنت ؟ ما يكون من أمرك ؟

- ساوافيكم عاجلا . أسرعوا .

واستقل "كاروليه" وابنه المصعد السري أما مدام "فيكتوار" فتخلفت عنهما قائلة :

- سابقى معك قليلا .

ومضى "لوبين" إلي التليفون ليتحدث إلى "سونيا" ولكنه فطن إلى أن الاسلاك مقطوعة فقال :

- جميل جدا . ها قد استعمل "جوشار" في منازلتي إحدى الخدع التي تعلمها مني كيف احذر "سونيا" إذن ؟

فقالت مدام "فيكتوار" :

- ولم لا تذهب إليها ؟

- إنني لا اعرف لها مكانا لقد انباتني انها ستنزل في فندق بميدان "ستار" ولكنها كانت ناسية اسمه فلم تذكر لي رقم التليفون لابد لي من إنتظارها إذن فقد اشرفت الساعة على الثامنة وهو الموعد المتفق عليه بيننا .

فصاحت مدام "فيكتوار" :

- أمجنون انت حتى تنتظرها ؟ اتريد أن يقبض عليك "جوشار"؟

ولكنه - رغم هذه النصيحة - ابى أن يتخلى عن "سونيا"".

وقرع الباب فقالت مدام "فيكتوار":

- ها هي ذي "سوينا" قد جاءت .

- بل إن الطارق هو "جوشار" افتحي له الباب وتواري خلفه عندما تسحبين المصراع . فإذا ما رآني انطلق إلي مسرعا ولم يفطن إلى وجودك حينئذ غادري البيت فورا وانتظري "سونيا" في الطريق

وامضي بها إلى مطعم "باسي" وساوافيكما عاجلا .. هيا أسرعي .

وجلس "لوبين" في قاعة التدخين وراح يطالع إحدى الصحف .

وسمع صرير الباب الخارجي وهو يفتح ثم وقع قدمين تصعدان الدرج في سرعة .

ووقف "جوشار" عند باب قاعة التدخين يحملق إلى "ارسين لوبين" وقد استولت عليه الدهشة كان يتوقع أن يجد "لوبين" ممعنا في الفرار .. فإذا به يراه جالسا ينتظره في هدوء كأنما سيستقبل ضيفا عزيزا .

وقال "جوشار" :

- ماذا ؟ لعلك كنت تنتظرني أرجو إذن الا اكون قد ابطأت ؟ .

- لا مطلقا .. وبالمناسبة دعني أؤكد لك اسفي لسرقة التاج فلقد احزنتني هذه الكارثة غير المنتظرة .

وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- لقد فر خدمي جميعا خوفا من رجالك فلا يمكنني بكل اسف أن أقدم إليك قدحا من القهوة .

فقال "جوشار" باسما :

- اطمئن .. ساقبض عليكم جميعا .

- أتوسل إليك إذن أن تبادر إلى ذلك قبل أن يحل موعد دفع المرتبات وبالمناسبة لاداعي مطلقا لأن ترفع قبعتك عن راسك . نعم لاداعي مطلقا .

ومد "جوشار" يده إلى قبعته ليرفعها ولكنه ما لبث أن أرخاها وجلس فقال له "لوبين" :

- الديك أمر باعتقالي ؟

- بالتاكيد .

- باسم من ؟ "ارسين لوبين" أم الدوق "دي شارميراس" ؟

- "ارسين لوبين" الذي ينتحل اسم الدوق "دي شارميراس" .

- آه . أراك قد اتخذت كل حيطة ممكنة فما الداعي إلي الانتظار إذن ؟

- إنني اشبع في نفسي شهوة الانتصار .

- حقا ؟! اتحسب نفسك إذن قد انتصرت علي ؟

- بكل تاكيد وهل يداخلك الشك في ذلك ؟

- إن أوان هزيمتي لم يحن بعد يا صديقي ؟

- إنك واهم . أتدري أين "سونيا" الآن ؟

فصاح "لوبين" في صوت حاد :

- ماذا تقول ؟

- اقول إنني اعرف مكان "سونيا" . إنها الآن في فندق صغير في ميدان "ستار" ورقم تليفونه ٥٥٥ سنترال .

قطب "لوبين" جبينه وقد احس أن قلبه تحطم .

وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- "جوشار" ينبغي أن تدع هذه الطفلة المسكينة في سلام . إنك تبغضني وتريد ان تقبض علي ولست انكر انني اتعبتك وهزأت بك طويلا . ولكن هذه الطفلة إنها شقية تعذبت كثيرا وقاست فدعها وشانها اقبض علي إذا شئت ولكن دعها وشانها .

فقال "جوشار" :

- هذه مسالة تتوقف عليك انت !!

- ماذا تعني ؟

- إنها صفقة رابحة تلك التي أعرضها عليك .

- ماذا تعني ؟! افصح .

- إنني أعرض عليك حرية المراة التي تحبها .

فضحك "لوبين" وقال :

- الحق انك مساوم بارع .

ونظر في ساعته وقال :

- اتقسم بشرفك على انها لن تستهدف لأي أذى ؟

- اقسم بشرفي .

- ولكن تلك السرقات القديمة ؟

- ساضيفها إلى حسابك واقول إنك انت السارق .

فابتسم "لوبين" وقال :

- هذا حل عادل فإن إضافة بضع سرقات صغيرة لن يزعج ضميري ولكن ما الذي تسالني لقاء حريتها ؟

- كل شيء أعد إلي السجاجيد والصور والمكاتب الاثرية والتاج وجميع الوثائق الخاصةبوفاة الدوق "دي شارميراس" . ولكن خبرني هل قتلته ؟

- ما أسوا ظنك بي يا "جوشار" اتحسبني أسفك الدماء ؟

- ما جوابك إذن على هذا العرض ؟!

ودق جرس الباب فقال "لوبين" :

- دعني افكر برهة .

- وما جدوى التفكير ؟ ثق بانني ساقبض عليها كما قبضت على "فيكتوار" .

- رباه . هل قبضت على "فيكتوار" ؟! ولكن أي دليل لديك ضد "سونيا"؟

- وهل من العسير أن أحملها على الاعتراف !

فصاح "لوبين" :

- يا لك من وغد .

وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- إنها في الواقع صفقة رابحة لي . انال حرية "سونيا" و"فيكتوار" ثم أسترد المسروقات ثانية .

فقال "جوشار" متهكما :

- بالتاكيد سستستردها ولكن بعد خروجك من السجن .

- ولكنك نسيت يا صديقي انه لكي أخرج من السجن يجب أن ادخله اولا .

- وستدخله الليلة .

- محال . وسوف ترى .. لن اقبل ما تعرضه علي ومع ذلك سانقذ "سونيا".

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخل "ديوزي" يخطر رئيسه بقدوم "سونيا" فصاح "جوشار" :

- اقبض عليها . اقبض عليها .

فانبعث "لوبين" واقفا كالنمر الهائج وصاح :

- دعها وشانها .. لا تمد إليها يدا ..

- هل قبلت إذن ؟

ولم يكن له مناص من ان يحني رأسه موافقا فلما انصرف "ديوزي" قال "لوبين" :

- والآن فلنحدد الشروط مرة أخرى إنك تسالني أن أرد إليك الصور والسجاجيد والمكاتب والتاج ووثائق الدوق "دي شارميراس" ومقابل هذا لن يتعرض أحد بسوء للآنسة "سونيا" ؟ أليس كذلك ؟

- بلي .. سانسى على الفور أن "سونيا" سارقة .

- مهما وقع بعد ذلك ؟ أعني انك لن تتعرض لها حتى لو انني استعدت هذه المسروقات ثانية أو أنني هربت منك ؟

فضحك "جوشار" هازئا وقال :

- نعم .. حتى ولو استعدتها أو هربت .

- إذن قبلت الصفقة . في هذه المحفظة جميع الوثائق الخاصة بوفاةالدوق "دي شارميراس" وفيها أيضا قسائم شحن المسروقات وقد أرسلتها إلى محطة "تنبول" التي ذكرتها في خطابي صراحة لأنني كنت واثقا بانك لن تبحث في هذه المحطة ما دمت قد ذكرت اسمها .

- ولكن أين التاج ؟

وأشار "لوبين" إلى حقيبة في ركن الغرفة فتناول "جوشار" التاج وفحصه وقال:

- إنه التاج الحقيقي والآن مد يديك للقيد..

الفصل الثالث والعشرون

دارت الأغلال حول رسغي "لوبين" فقال :

- لولا حسن حظك لما وقعت تحت رحمتك ولكن ألا تسمح لي بمقابلتها قبل ان اذهب إلى السجن ؟

- أسمح وسادعوها بالتاكيد لترى هزيمتك .

وأمر مساعده بان يدعو "سونيا" فوقف "لوبين" بالقرب من النافذة وكان حريصا على أن يخفي الأغلال التي في يده حتى لا تراها "سونيا" وسمع صوت "جوشار في الردهة وهو يقول لها :

- يجب أن تشكري الدوق يا "سونيا" فهو الذي انقذك إذ لن يُقبض عليك فهتفت :

- هو الذي انقذني ؟

و اسرعت إلى قاعة التدخين تشكره ولكنه أدار ظهره إلى ناحيتها قليلاً حتى لا ترى الأغلال فتسمرت على العتبة وقد بان اليأس في وجهها وقالت :

- رباه .. لقد ظننت بالأمس انك عفوت عني . إنني منصرفة إذن.. فقال "لوبين" في صوت حزين :

- "سونيا" ؟

فصاحت في صوت مختنق :

- إنني افهم حقيقة شعورك ولكني أقسم لك إنني قد ندمت ومحال أن أسرق مرة أخرى لأني أصبحت أكره أن أرى لصا أمامي .

فاحمر وجه "لوبين" وصاح :

- اصمتي . اصمتي .

ولكنها استرسلت :

- اقسم لك إنني الآن أكره اللصوص واللصوصية ولن الوث يدي مرة

اخرى .

وراحت تبكي فقال لها :

- "سونيا"... إنك تعذبينني .

- إنني راحلة وهذا بيننا فراق الأبد ولكن قبل أن أرحل يجب أن تعلم الحقيقة لقد أحببتك بكل جوارحي .

ومحال أن أنساك ومن أجل هذا الحب . من أجلك انت أصبحت امرأة شريفة فوداعا ولكن أرجوك أن تصافحني قبل رحيلي .

واقتربت خطوة منه ولكنه صاح :

- كلا . ابتعدي .. لن أصافحك .

فصاحت وهي تبكي .

- رباه .. أترفض مصافحتي ولكني اقسم إنني ندمت وأصبحت امرأة شريفة .

وقال "لوبين" في صوت متهدج :

- "سونيا" أصغي إلي منذ لحظات قلت إنك تكرهين اللصوص واللصوصية ، وإنك تكرهين أن ترى لصا أمامك .

- نعم . و أقسم لك على ذلك .

وفي هذه اللحظة جاء "جوشار" إلى الغرفة وقال "لوبين" :

- ولكن هبي أنني لست الرجل الذي تظنين . هبي أنني لست الدوق "دي شارميراس" ؟!

- لست الدوق ؟ ماذا تعني ؟

- هبي أنني لست رجلا شريفا كما تظنين ؟! افرضي أنني لص افرضي أنني . وسكت فقال "جوشار" ؟

- "ارسين لوبين" .

وتحول إليها ومد يديه نحوها بالأصفاد .

وصاحت "سونيا" :

- أنت "ارسين لوبين"؟ إذن فقد افتديتني بحريتك ؟! إذن فأنت تحبني؟

ووثبت إلى صدره وغمرت وجهه بالقبلات .

فهز "جوشار" رأسه وقال:

- وهذه المرأة التي تكره اللصوص واللصوصية .

وقال "لوبين" :

- نعم إنني أحبك يا "سونيا" . وقد حولني هذا الحب رجلا شريفا . بعد اليوم لن الوث يدي مرة أخرى .

وقال "جوشار" في خشونة :

- هيا بنا فقد أزف الوقت .

ودخل "بونافنت" راكضا وهو يقول :

- لقد اهتديت إلى المدخل السري ولكننا لم نستطع بعد إن نفتح الباب .

واغتنم "لوبين" هذه الفرصة وهمس في اذن "سونيا" وهو يضمها إلى صدره :

- انتظريني مع "فيكتوار" في البهو . فإن أمروا لكما بالخروج فانتظراني في الطريق . إنني لن أذهب إلى السجن ثم قبلها وطلب إليها أن تنصرف .

وقال "جوشار" :

- والآن هيا بنا فإن مركبة السجن في انتظارك .

فابتسم "لوبين" وقال :

- و لكني لا أريد أن أذهب الليلة إلى السجن إنني مدعو إلى تناول العشاء في السفارة الإنجليزية .

فصاح "جوشار" :

- كفى .. فليس هذا أوان المزاح ..

لقد أصبحت الآن خبيرا بمناوراتك وخدعك .

- ولكنك بالتأكيد تجهل هذه الخدعة .

وراح يحرك يديه ويلويهما ويثنيهما مرة بعد مرة . وأخيرا استطاع أن يخرجهما من الأغلال وقال :

– إنها لعبة ظريفة تعلمتها من الساحر الشهير "مازيني" .

وقال مسترسلا وهو يبتسم :

– ولم يكن لي مفر من هذا .

كان لي أن أختار بين السجن و"سونيا" .. وقد اخترت أن أعيش مع "سونيا" .

ورمت عيناه ببريق مخيف فصاح "جوشار" ينادي رجاله فاندفعوا إلى القاعة مسرعين فارتد "لوبين" بضع خطوات إلى الوراء ورفع غطاء صندوق من الورق المقوى كان موضوعا على إحدى المناضد وتناول منه قنبلة صغيرة الحجم وقال :

– احذروا إياكم أن تقتربوا مني . اتريدون أن أرمي هذه القنبلة ؟! ارفعوا الأيدي وارموا مسدساتكم إلى الأرض .

وتراجعوا في فزع فصاح بهم "جوشار" :

– لاتخافوا .. إنه يهوشكم .

فقال "بونافنت" :

– إن "لوبين" لايعرف العبث يا مسيو "جوشار" انظر إلى عينيه إنه أشبه بالمجانين .. إن في نظراته بريق الجنون .

وقال "ديوزي" :

– نعم إنه جن ... وسيرمي القنبلة .

فصاح "لوبين" :

– نعم إني جننت . إني هائم حبا "بسونيا" ويجب أن أعيش معها .. أما أن أذهب إلي السجن فهو محال .

وقال "ديوزي" يتوسل إلى رئيسه :

– دعه يا سيدي وإلا أهلكنا جميعا .

وقال "بونافنت" :

- دعه وإلا نسفنا نسفا .

فصاح "جوشار" في غضب :

- تبا لكم أيها الجبناء . ساواجهه وحدي إذن .

وتقدم خطوة إلي الأمام فرفع "لوبين" يده قائلا :

- إذن سارمي القنبلة .

ولكن "بونافنت" و"ديزوي" صاحا به :

- لاتفعل .

وانقضا على رئيسهما مع الآخرين وأمسكوا بذراعيه وهو يصيح غاضبا متوعدا .

وقال "لوبين" :

- في جيب رئيسكم محفظة خاصة فهاتوها .. والتاج في جيبه الثاني.

فصاح "جوشار" :

- محال أن أعيدها إليك .

- إذن سارمي القنبلة ! وداعاً .

وتالقت عيناه جنونا ..فصاحوا به :

- انتظر .

وأخرجو المحفظة والتاج من جيب رئيسهم وهو يقاومهم ويلعنهم وقدموهما إلى "لوبين" .

وضغط "لوبين" زرا خفيا وسط رفوف الكتب فتحركت وانكشفت عن المصعد السري فدخل إليه "لوبين" والقنبلة مازالت في يده وقبل أن يغلق على نفسه باب المصعد قال لهم :

- والآن أستودعكم الله أرجو أن تكونوا قد تركتم وصاياكم . ورفع يده وطوح بالقنبلة في وسطهم فصاحوا مذعورين وتراجعوا إلى

الوراء وقد انكفئوا على وجوههم وتعثر بعضهم ببعض ولكن القنبلة لم تنفجر إذ لم تكن إلا كرة من المطاط صنعت على شكل القنبلة .

وقد اغتنم "لوبين" فرصة هذا المخرج فاوصد باب المصعد فهبط به مسرعا إلى الطابق الأرضي .

وصاح "جوشار" برجاله :

- أسرعوا أيها البلهاء إلى الباب السري والباب الامامي .. وإلى الشارع .. راقبوا كل منافذ البيت .

أما "جوشار" و "ديوزي" فقد راحا يبحثان عن زر المصعد السري . ليلحقا بـ"لوبين" .و بينما هما منهمكان في البحث سمعا دويا .. فلما نظرا ألفيا المصعد أمامهم خاليا وبابه الحديدي مفتوحا .

فصاح "جوشار"بمساعده :

- هاهو ذا المصعد .. هيا بنا ننطلق في أثره .

ودخلا المصعد مسرعين وأغلقا الباب وضغط "جوشار" زر الطابق الأرضي ولكم كانت دهشته حين رأى المصعد يرقى إلى الأعلى بدلاً من أن يهبط إلى الأسفل .

ولكنه لم يبلغ الطابق الأعلى وإنما وقف بغتة في الفضاء بين الثاني والثالث وقد أحاطت به الجدران القائمة .

وراح "جوشار" يضغط الأزرار واحدا بعد واحد والمصعد جامد مكانه لايتحرك .

وكانت هذه إحدى خدع "أرسين لوبين" فقد أعد مصعدين احدهما ذلك الذي هبط به ، أما الثاني فهو الذي استقله "جوشار" وهذا المصعد الثاني يتجه دائما في عكس اتجاه المصعد الأول ويسكن في الفضاء بين الطابقين حتى يستحيل على مطارديه اللحاق به .

وراح "جوشار" يصيح مناديا ويضرب جدران المصعد بيديه في الوقت الذي كان فيه "لوبين" هابطا بمصعده إلى الطابق الأرضي.

وفي اثناء هبوط المصعد أسرع "لوبين" ففتح درجا في المصعد مكتظا بادوات التنكر وما مضت لحظات حتى كان قد تنكر على صورة "جوشار" واخرج من درج آخر معطفاً شبيها بمعطف "جوشار" وارتداه ثم نظر في المرآة ضاحكا وقال :

- لو نظر إلي"جوشار" لحسب أنه ينظر في مرآة .

وخرج "لوبين" من المصعد فوجد "سونيا" في انتظاره في البهو ووجد شرطيا يحرس "فيكتوار" فقال له وهو يقلد صوت "جوشار":

- تعال .. قف عند باب هذا المصعد . إن فيه "ديوزي" و"ارسين لوبين" يتعاركان ويتضاربان الا تسمع صوت العراك ؟

- نعم يا سيدي إن الضجة واضحة .

كانت الضجة بطبيعة الحال ناشئة عن طرقات "جوشار" و"ديوزي" على جدران المصعد ..

- حسنا .. فور هبوط المصعد انقض على "لوبين" ولكن إياك أن تستعمل مسدسك مهما حدث ، وأطفئ هذا النور ، حتى لا يتبينك "لوبين" جيدا عند خروجه من المصعد ، فيتقي هجمتك ...

إنك تعرف "ديوزي" و وهيئته والرجل الثاني سيكون "لوبين" بطبيعة الحال .. اهجم عليه بلا تردد وامنعه من الفرار إنه قد يخدعك فيزعم انه"جوشار" فلا تصدقه كما أنه قد يتنكر على صورتي وإن قبضت عليه أمرت بترقيتك .

- شكرا لك يا سيدي .

- أما "فيكتوار" هذه فسترافقني في سيارتي والآن انتبه . كن شجاعا . وأد واجبك .

ورفع الشرطي يده إلى رأسه بالتحية العسكرية .

لقد ضغط "لوبين" زرا خفيا قبل انصرافه . وما إن هبط المصعد حتى كان الشرطي حريصا على أداء الواجب وترك "ديوزي" لحظات وانقض

على الرجل الثاني ، وكان موقنا بأنه "لوبين" وقد تنكر على صورة "جوشار" .

ودام الصراع بينهما برهة و"جوشار" يصيح :

- دعني أيها الغبي .. إنني "جوشار" إنني رئيسك .

وأخيرا فطن الشرطي إلي غلطته .

وصاح "جوشار" :

- أين هم ؟ "لوبين" و "سونيا" و "فيكتوار" ؟

فقال الشرطي مجيبا :

- لقد استقلوا سيارتك .

وانطلق "جوشار" إلى الباب الخارجي ورأى سيارته تسابق الريح إلى . إلى شهر العسل .

و ضرب كفا بكف هو يقول :

- عليه اللعنة إنه شيطان لا إنسان .

"تمت بحمد الله"

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠
٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠
٦١	٦٢	٦٣	٦٤						

الإسم : ____________________

العنوان : ____________________

ص.ب ______ المدينة : ______ الرمز البريدي : ______

الدولة : ____________________

برجاء تحرير شيكات مصرفية مسحوبة على اي مصرف في لبنان

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.. سارع في إرسال طلبك!

١	ارسين لوبين بوليس آداب	١٧	الباب الاحمر
٢	ارسين لوبين بوليس سري	١٨	البرنس ارسين لوبين
٣	الماسة الزرقاء	١٩	التاج المفقود
٤	ارسين لوبين رقم ٢	٢٠	الثعلب
٥	ارسين لوبين في السجن	٢١	الجائزة الأولى
٦	المعركة الأخيرة	٢٢	الجائزة الكبرى
٧	ارسين لوبين في موسكو	٢٣	الجاسوس الأعمى
٨	ارسين لوبين في قاع البحر	٢٤	الجثة المفقودة
٩	ارسين لوبين في نيويورك	٢٥	الجرائم الثلاثة
١٠	اسنان النمر	٢٦	الجريمة المستحيلة
١١	الميراث المشؤوم	٢٧	الجزاء
١٢	اصبع ارسين لوبين	٢٨	الجلاّد
١٣	لصوص نيويورك	٢٩	الخدعة الكبرى
١٤	اعترافات أرسين لوبين	٣٠	الخطر الأصفر
١٥	الإبرة المجوفة	٣١	الخطر الهائل
١٦	الإنذار	٣٢	الدائرة السوداء

٣٣	الرصاصة الطائشة	٥١	الغلاف الأزرق
٣٤	الرهان	٥٢	الفخ الرهيب
٣٥	الزمردة	٥٣	الفيل الأبيض
٣٦	الساحر العظيم	٥٤	القزم
٣٧	السر الرهيب	٥٥	القفاز الأسود
٣٨	السر في العين	٥٦	القفاز المسموم
٣٩	السر في القبعة	٥٧	الكرسي الهربائي
٤٠	السهم القاتل	٥٨	الكوخ المهجور
٤١	السوق السوداء	٥٩	اللص
٤٢	الشريف	٦٠	اللص الظريف
٤٣	الصحفي المفقود	٦١	اللصة
٤٤	الصوت الغامض	٦٢	اللغز المحير
٤٥	الطائرة المحترقة	٦٣	اللؤلؤة السوداء
٤٦	العقد المفقود	٦٤	المجرم
٤٧	الغرفة الصفراء		
٤٨	الغرفة ٣٤		
٤٩	الغريقة		
٥٠	الغريمان		